

أساس السياسة

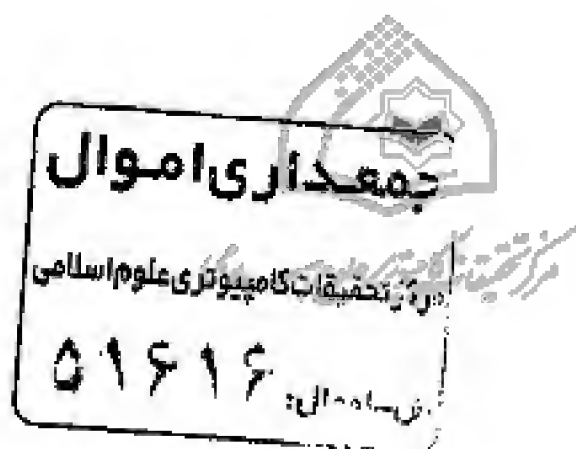
مؤلف:

الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي

المؤلف في سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

(ينشر لأول مرة عن مخطوطة بطرسبرغ الروسية)





اساس السیاسة

حقوق الطبع محفوظة
لدار الطليعة للطباعة والنشر
ص. ب ١١١٨١٣
الرمز البريدي ٩٠ ٧٢٠ ١١٠
بيروت — لبنان
تلفون ٠١/٣١٤٦٥٩
فاكس ٣٠٩٤٧٠ — ١ — ٩٦١
E.mail: daraltalia@yahoo.com



الطبعة الأولى
رجب ١٤٢٩ هـ
تموز (يوليو) ٢٠٠٨ م

أساس السياسة

تأليف:

الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي
المتوفى سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

(ينشر أول مرة عن مخطوطة بطرسبرغ الروسية)

مركز تحقيق ونشر علوم إسلامي

تحقيق:

جليل العطية

دار الفيلسوفية للطلبة والنشر
ببيروت

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۳۴۹۰۱

تاریخ ثبت:



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإهداء.

إلى زوجتي وأولادي.

جلیل



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

بين يديّ الكتاب

أساس السياسة هو الكتاب الرابع الذي يخرج إلى الضوء للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطبي (*) بعد آثاره المعروفة:

١ - مختصر تاريخ الحكماء (اختصر سنة ٦٤٧هـ) [لاينغ - ١٩٠٣م]؛

٢ - إنباه الرواة على أنباء النحاة [القاهرة، ١٩٥٠ - ١٩٧٣] (نشر بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم في أربعة أجزاء) وتكرر طبعه؛

٣ - المحمدون من الشعراء وأشعارهم. حققه الأساتذة: محمد عبد المعين خان [حيدرآباد - ١٩٦٩م]، حسن معمرى [الرياض ١٩٧٠م]، د. رياض عبد الحميد مراد [دمشق - ١٩٧٥م].

ولم يكن هذا الكتاب معروفاً لدى ثلّة الباحثين والمحققين، فالمخطوطة الوحيدة المتوفرة منه اليوم محفوظة في «مكتبة بطرسبرغ» الروسية، وهي منسوبة في فهرسها إلى علي بن ظافر الأزدي [ت ٦١٣هـ].

وللعثور عليه قصة لا بأس بروايتها، لما لها من أهمية:

(*) الأغلب أن ولادته كانت في سنة ٥٦٨هـ وتوفي سنة ٦٤٦هـ في حلب.

في نحو سنة ١٩٨٧م وقفتُ على فهرس مخطوطات لينينغراد (سان بطرسبرغ) لاحقاً، وذلك في رواق قسم المخطوطات الشرقية في المكتبة الوطنية بباريس، وهو من إعداد المستشرق الروسي الكبير: أنس خالدوف [١٩٢٩ - ٢٠٠٢م] ويقع في مجلدين، عنوانه:

- *Catalogue of Arabic Manuscripts at the Institute of Oriental Studies, Leningrad-Russia, 1986 [St. Petersburg].*

وقد هالني أن "أكتشف" مخطوطات كثيرة شكّل وجودها في الفهرس مفاجأة سارة لي! هذا على الرغم من أنني أستطيع أن أزعم أن إحاطتي بنوادير المخطوطات وفرائدها في خزائن العالم لا يرقى إليها الشك من قِبَل المصنفين، والدليل الدامغ على ذلك أن من بين أعمالي المتواضعة "الجديدة"، أو التي نُشرت أول مرة محققة، العناوين التالية:

١ - **دُرُج الثُور** ودُرُج الثُور لعمر بن علي المطوَّعي (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م)؛

٢ - **الحنين إلى الأوطان** لابن المرزبان (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م)؛

٣ - **الشموق والفراق** لابن المرزبان (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م)؛

٤ - **الوُحُوش** لأبي سعيد الأصمعي (عن نسخة نفيسة محفوظة خطأ في القسم التركي من المكتبة الوطنية في باريس (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م)؛

٥ - **آداب الملوك** لأبي منصور الثعالبي (طبع بمساعدة اليونسكو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١: ١٩٩٠م، ط ٢: ٢٠٠٥م)؛

٦ - آداب الملوك لعلي بن رزين الكاتب (دار الطليعة، بيروت،

٢٠٠١م)

٧ - أخبار البرامكة لمؤلف مجهول من القرن الرابع الهجري/

العاشر الميلادي (دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م).

وقد اخترت ثلاث مخطوطات فقط من عددته مفاجأة بهيجة سارة، أملاً أن أظفر بمصوراتها بأي شكل، وعلى سبيل التجربة، من بينها: أساس السياسة لعلي بن ظافر الأزدي (ت ٦١٣هـ)، وهي تحمل الرقم ٦٧٣٩ في الفهرس وقوامها ٦٥ ورقة ولا تحمل تاريخاً للنسخ.

وبينما كنت أميط سلالم قسم المخطوطات الشرقية - بسبب عطل المصعد - سألت نفسي: أكتب إلى «مكتبة بطرسبرغ» رسالة طلب تصوير المخطوطات المنتقاة بالإنكليزية أم بالفرنسية؟

وكان أن كتبت باللغة الأولى لرواج استعمالها وسهولة كتابتها، فمضت الشهور ثم الشهور بلا رد.

ثم أنفذت رسالة أخرى بالفرنسية، فلم تكن النتيجة أفضل، خلافاً لمثيلاتها من المكتبات الأوروبية الغربية التي تُسارع بالجواب.

وبعد مرور سنوات على هذه المماطلة الغربية، فُكرتُ الاستعانة بالأستاذ الدكتور أنس خالدوف... وكنت قد تعرفتُ إلى هذا المستعرب البارز في بغداد سنة ١٩٦٥م - إن لم تخني الذاكرة - حيث قُدم الحاصمة العراقية ملياً دعوة من الحكومة العراقية.

ولقد نعمت بصحبته وأعجبتني معرفته الواسعة بالمخطوطات العربية والإسلامية. كنا نسير في شوارع وأزقة بغداد نتحدث ونتناقش وأنهض بمهمتي كدليل له. وفي ختام الزيارة، تبادلنا

العناوين الشخصية، فهمس في أذني قائلاً: «نحن معشر المستشرقين لا نفضل المراسلة بلغة الضاد لعدم تمكننا من ناصيتها بل أفضل أن ترسلني باللغة الروسية، هذا إن وجدت من يُساعدك على ذلك!» ولم أضيع الوقت كثيراً..

فكان أن استعنت بسيدة روسية (هي زوجة أحد الأصدقاء العراقيين ممن درسوا في روسيا) لكتّيب لي رسالة إلى الأستاذ أنس خالدوف، شرحتُ له فيها الموضوع، وانتظرتُ نحو ثلاثة أشهر انتهت بتسلم ردٍّ جميل منه مشجع لي، وفيه أخبرني:

١ - أنه كتب رسالة "توصية" إلى إدارة "مكتبة بطرسبرغ" راجياً مساعدتي في تصوير المخطوطات الثلاث المطلوبة؛

٢ - نبهني إلى أن من تقاليد المكتبة أنها تتبادل المخطوطات المصورة (أي من دون دفع نقود مباشرة)!

وانتظرتُ أربعة أشهر أخرى ليصل إليّ ردّ المكتبة الإيجابي، فسرتني ذلك على الرغم من استعراضي لشروطها القاسية، فلقد طلبت المكتبة مني تصوير مخطوطات عربية وتركية ضخمة الحجم ذات تكاليف باهظة!

أختصر فأقول إنني وسطتُ صديقتي السيدة إيفيت سورفان Yvettes Sauvan المستشارة الفرنسية المعروفة، فيسرت لي - رحمها الله - الموافقة على تصوير المخطوطات التي طلبت من روسيا، وبعد إرسال الرقّبات (المايكروفيلم) وصلني طردٌ من بطرسبرغ يشتمل على ما طلبتُ وفيه:

- أساس السياسة المنسوب لابن ظافر الأزدي (٦١٣هـ)
الأديب، المؤرخ وصاحب بدائع البداية.

وبعد فحص المخطوط وتظهره وتكبيره، بدأت رحلة أخرى
من أجل التثبت منه: أهو حقاً لابن ظافر؟
المعروف لدى العلماء وأهل العلم أن التحقق يتطلب دراسة
معقدة.

صحيح إن النسخة المخطوطة خزانة، بل ربما ملوكية، رائعة
المخط (لعلها نُسخَت في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)
إلا أن المؤلف لم يثبت اسمه، خلافاً لما فعل المسعودي في مروجه
أو ياقوت الحموي في معجم بلدانه؛ لم يُثبت مؤلف أساس السياسة
اسمه لا في أول المخطوط ولا في وسطه ولا في ختامه! وأوضحت
الدراسة أن "بعضهم" نسب الكتاب إلى ابن ظافر الأزدي، لأن لهذا
الأخير كتاباً يحمل نفس الاسم، وهو مذكور في معظم الكتب
والمطابع التي ترجمت لابن ظافر، وأوردت كتاب أساس السياسة بين
عناوين مؤلفاته.

وكان من حسن التوفيق أن يقتبس القُلُقَشْنُدي (٧٥٦ - ٨٢١هـ)
عبارات نقلها من موسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لشهاب
الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) تتعلق بـ "الشيعة
الإسماعيلية"، قال في ختامها: "ورأيت نحو ذلك في أساس السياسة
لابن ظافر، وذكر أنهم يرون أن الملوك... كالنواب لأئمتهم:
لقيامهم مقامهم" (صُبْحُ الْأَعْشى، ط الأميرية - القاهرة، ج ١٣، ص
٢٤٥). ولاحظ: "فهارس كتاب صُبْحُ الْأَعْشى في صناعة الإنشاء"،
تصنيف وإعداد محمد قنديل البقلي؛ تقديم د. سعيد عاشور، عالم
الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٥٩٩.

وهذه الاقتباسات "القُلُقَشْنُدية" أو "القُلُقَشْنُدية" في موسوعته،

تثبت أن كتاب أساس السياسة نُسب ضِلَّةً إلى "ابن ظافر" !
 أما كيف تأكدنا أنه للقفطي رغم كونه لم يُذكر ضمن قائمة
 أعماله التي ذكرها ياقوت الحموي في معجم الأدباء [انظر مثلاً
 ص ص ٤٠٢٤ - ٤٠٢٩ (ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت،
 ١٩٩١م، تحقيق: د. إحسان عباس)؛ وانظر مقدمة إنباء الرواة (ط.
 إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٠ - ١٩٧٣م، ص ص ٢١ - ٢٣)؛ وانظر
 أخيراً: مقدمة المحمدون من الشعراء وأشعارهم (ط. مجمع اللغة
 العربية بدمشق - ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)، ص ص ح - خ].

... أقول: فقد قدمنا مقتبسات القُلُقَشْنَدِي عن مسالك الأبصار
 (طُبعت هذه الموسوعة مصورة في "معهد فرانكفورت" بإشراف
 المستعرب التركي الدكتور فؤاد سزكين Fuat Sezgin كالآتي؛

Ibn Fadallah al-Umari., Ibn Yahyā, *Masalik al-Absar Fi
 Mamalik al-Amsar* (Routes Toward Insight in to the Capital
 Empires) 1988-1989, Frankfurt.

وكانت موسوعة مسالك الأبصار قد طُبعت في دولة الإمارات
 العربية وصدرت عن المجمع الثقافي - أبو ظبي سنة ٢٠٠٢.

أعترف هنا بأنني فوجئت بأنه كانت ثمة نسخة ثانية من
 مخطوطة أساس السياسة معزوة لمؤلفها الحقيقي (= القفطي)،
 محفوظة في مكتبة "خالص أفندي" بإستانبول، أشار إليها الأستاذ
 عبد الله مخلص (ت ١٩٤٧م، وكان أحد أبرز علماء فلسطين في
 القرن الماضي) وذلك في دراسته القيّمة: «التوالييف الإسلامية في
 العلوم السياسية والإدارية»، نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي
 بدمشق (مجمع اللغة العربية لاحقاً، العدد ١٨، ١٩٤٣م، ص ص
 ٣٣٩ - ٣٤٤. والإشارة المقصودة وردت في ص ٣٤٠).

وانظر مقدمة الأستاذ ميخائيل عواد (١٩١٢ - ١٩٩٥ م) - رحمه الله - لـ رسوم دار الخلافة للمصايف (٤٤٨هـ)، المنشور في بغداد، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ص ٥١.

لقد بذلتُ جهوداً مضيئة للظفر بهذه المخطوطة والإفادة منها غير أن جهودي تبددت حيث ضاعت هذه النسخة أثناء الحرب العالمية الثانية بين سمع الأرض وبصرها!!

- وعوداً على بدء، أقول إن أساس السياسة من الكتب التي تُعرف بـ «تصحيح الملوك» أو «أدب المرايا» أو «الآداب السلطانية»، جسدت فيه الوزير القفطي آراءه السياسية والفكرية في صورة غير مباشرة، مازجاً بين الثقافات الفارسية واليونانية والإسلامية، وهو نمط نادر في النصوص السياسية القليلة التي تأدت إلينا عبر قرون من الزمن.

- إن صاحب إنشاء الرواة صنّفه وهو في عمرة شبابه، حيث كان يتردد على القاضي الفاضل: عبد الرحيم بن علي البيسانى (٥٢٩ - ٥٩٦هـ) والذي كان يعدّ بحق أمير الأدب العربي في عصره، وهو الذي شجّع القفطي وتوقع له المستقبل الخطير الذي ناله بجدارة لاحقاً كما هو مشهور وهو - القاضي - من أطلق علي هذا الكتاب اسم أو عنوان «أساس السياسة».

- لقد ألّف القفطي كتابه المبتكر الأصيل هذا للملك العزيز عثمان بن يوسف صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧ - ٥٩٥هـ). وكان هذا الملك من أجمع ملوك بني أيوب، ويروي المؤرخون أنه كان يمتلك ثقافة إسلامية واسعة، ومعرفة عميقة بالحديث، وكانت الرعاية تقدّره كثيراً.

- عمد مؤلف الكتاب إلى أسلوب مبتكر حقاً، بل لم يكن

مألوفاً قط، وهو أنه جعله على لسان الجاريات (أو الحظايا) وليس على لسان الحيوانات العجماوات! وبهذا رُفع في هذا الكتاب المهم من شأن المرأة العربية، خاصة فئة "الجواري" التي كان يُنظر إليها نظرة احتقار (حَسْداً ربّما!)، هذا على الرغم من أن الإسلام رفع من شأنها، كما هو معروف.

- في أساس السياسة قصص وحكايات مثيرة، متداخلة تشكّل بمجموعها ثروة ثرة، يتعين على المهتمين بالفكر السياسي الإسلامي دراستها بعمق وترو..

إضافة إلى هذا الهدف "الاستراتيجي"، سيجد الأدباء والروائيون فيه مادة خصبة، وهذا ينسحب على أهل السينما والمسرح والتلفزة!

- صفوة الكلام: إن في هذا الكتاب الصغير الحجم، عوالم مذهشة، مبهرة لا تحذّدها الكلمات، أضعه بين يديك - عزيزي القارئ - تاركاً التفاصيل لمقدمة التحقيق والحواشي.

المحقق

مركز تحقيق تكوین بر علوم اسلامی

مقدمة التحقيق

(١)

ارتبطت الأمة الفارسية بالأمة العربية بأوثق الروابط وأقوى الصلات. فقد تجاوز الفرس والعرب منذ عصور سحيقة، تبادلا خلالها المنافع وقامت بينهم الحروب والعلاقات السياسية وكذلك المنافسة، فحصل تأثير متبادل بينهما.

ويرى د. فؤاد الصياد^(*) أن العلاقات بين الفرس والعرب تمتد إلى أبعد من التاريخ المدون، أي إلى فترة الأساطير.

كان العرب أسبق الأمم اتصالاً بالفرس، فهم أول من تحدث عنهم الفردوسي في الشاهنامه، وهم آخر الوجوه التي تقع عليها العين في ختام تلك الملحمة الكبرى.

واللغة الفارسية التي احتك بها العرب في أول أمرهم كانت لغة العلم والحضارة في العصر الساساني الذي دام أربعة قرون وشمل "إمبراطورية" مترامية الأرجاء، كانت تمتد من العراق حتى حدود

(*) انظر بحثه القيم «دور الفرس في بناء الحضارة الإسلامية» ضمن كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية: التقاء الثقافتين العربية والفارسية لنخبة من الأساتذة، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٦٧ - ٨٩. وقد أفدنا منه كثيراً خاصة، ومن الكتاب عامة.

"صُغْد خوارزم" (انظر للتفاصيل : معجم البلدان لياقوت الحموي (مادة "الصُغْد" ؛ كتاب البلدان لابن الفقيه بتحقيق الأستاذ يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م، استشر الفهارس المفصلة؛ والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر).

اشتهر ملوك الفرس بميلهم إلى العلم والاستزادة من المعرفة، وتشجيع الترجمة والتأليف بحيث أن اللغة الفارسية في عهدهم كانت تحتوي أمشاجاً مختلفة من آداب السياسة والحكم والأدب التعليمي والأخلاقي وأدب الرسائل وغيرها.

يذكر المؤرخون أن أردشير بن بابك^(*) - مؤسس الدولة الساسانية - طلب الكتب من الهند والروم والصين وتابعه ابنه سابور في هذا الصدد (لقد احتل أردشير في تاريخ الفرس مقاماً رفيعاً، فهو الذي قضى على حُكم ملوك الطوائف، وأعاد للإمبراطورية الفارسية، بعد توحيد أجزائها وتوسيع رقعتها، مجدّها القديم، الذي كان لها في أيام كورش ودارا الكبير، وردّة لعقيدة زرادشت مكانتها القديمة، وعمد إلى إحياء رسومها، وبذلك هباً للفرس الوحدة السياسية وقوة الرابطة الدينية، وكان مؤسس الدولة الساسانية التي ظل ملوكها يتولون الحكم حتى ظهور الإسلام^(**)). وذكر المقدسي في الكتاب المنسوب له:

(*) نقل ابن قتيبة هذه المعلومات (باختلاف في فضل العرب والثناء على علومها، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٦، نج: د. وليد خالص، منشورات المجمع الثقافي - أبو ظبي، ١٩٩٨) عن كتاب سير الملوك.

(**) للتفاصيل انظر مقدمة الدكتور إحسان عباس (ت ٢٠٠٣م) له جهد أردشير (دار صادر، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)، ص ٧ وما بعدها، وقرر السير (ط. طهران) ص ٤٧٣ والأخبار الطوال، ص ٧٢.

البهاء والتاريخ أنه من أجل الأعمال المهمة التي قام بها أردشير عُرف بلقب: "الجامع"، وهذا اسم رمزي للوحدة التي حققها.

ولأردشير صورة واضحة في المصادر كتاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي وسواهما، وإن لم تُسلم هذه الصورة - في المصادر العربية من بعض الجوانب الأسطورية، وسبب هذا الوضوح يكمن في اعتمادها على مصادر فارسية مفصلة مُعتمدة في كثير من جوانبها. ولأردشير نفسه يد في توجيه تلك المصادر (كما يقرر المسعودي في مروج الذهب، الجزء الأول، ط. شارل بلا، بيروت، ١٩٦٦م، الباب الرابع والعشرون).

وقد اختلف المؤرخون في عدد ملوك آل ساسان، فمن قائل إنهم ثلاثون ملكاً، وقيل أيضاً إن عدة ملوكهم من كيومرث إلى يزديجرد ثمانون ملكاً... وقيل إن سني الفُرس إلى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة... إلخ (المروج، ط. بلا، الفُقرتان ٦٥٦ - ٦٥٧).

ولعبت مدينة جُنديسابور الشهيرة (التي أسسها الملك الذي حملت اسمه) في القرن الثالث للميلاد، دوراً كبيراً في تأصيل الحضارة الفارسية، إذ إنها كانت من المراكز الفكرية والثقافية التي امتزجت فيها ثقافات شعوب الشرق والغرب، إثر احتضانها أسرى أسرهم سابور من الرومان وغيرهم.

ولا بأس أن نستطرد هنا لنذكر ونذكر بالدور الريادي لجُنديسابور والذي ساهم فيه - إضافة إلى الرومان - مفكرون سريان وكلدان وآشوريون وغيرهم من خلال عملية النقل والترجمة (*). ولما

(*) انظر الدراسة الممتازة التي أعدها الأكاديمي إفرام يوسف : Ephrem-Isa =

تولى كسرى أنوشروان عرش الساسانيين، أعاد النشاط إلى مركز جنديسابور الحضاري، كذلك أسس كسرى معهداً للنسطوريين.

ويروى أنه كان لكسرى شغف كبير بالثقافة العقلية مما أدى إلى ظهور نهضة علمية وأدبية شاملة كانت تعتمد على النقل (الترجمة) حيث نُقلت عيون التراث الإنساني العالمي إلى اللغة الفارسية. فترجم إليها من الهندية عدة آثار أدبية جاء بها وفد أرسله الملك لطلب كتب في الطب والأدب. وفي الوقت نفسه تُرجمت طائفة من الكتب اليونانية في المنطق والحكمة وسواهما، خاصةً بعد التجاء عدد من العلماء اليونانيين إلى بلاط كسرى، فاستقبلهم إمبراطور فارس استقبالاً جيداً، وظلّ هؤلاء يعملون ويؤلفون في الآداب والفلسفة والعلوم ويندسون في المركز الطبي.

لقد بقي هذا الإرث الحضاري المكتوب باللغة الفارسية القديمة في عصر ما بعد الإسلام، وهو الذي نُقل إلى "بيت الحكمة" وسواها في العصر العباسي. وبهذا التراث المعثوق، دخل الفرس الإسلام لتبدأ صفحة جديدة من العلاقة بين الأمتين (*).

Yousif, *Les philosophes et traducteurs Syriaques d'athenes à Bagdad*, Paris, L'Harmattan, 1997.

(*) ثمة كتب كثيرة ألفها مستشرقون ومستعربون - إضافة إلى عدد غير قليل من الباحثين العرب - تتناول التاريخ القديم لبلاد فارس وآدابها وحضارتها سيرد ذكر العديد منها لاحقاً، ونكتفي هنا بأهم هذه المراجع، في تقديرنا، على الإطلاق وهو كتاب المستشرق الشهير إدوارد براون:

- تاريخ الأدب في إيران، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد كمال الدين حلمي، أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الكويت.

- الجزء الأول: ٤٧١ ص، منشورات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٤م.

- الجزء الثاني: ٥٣٨ ص، منشورات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٦م.

أدب مرآة الأمراء

هو نمط من الكتب التي كانت شائعة في العصور الوسطى في الشرق والغرب، وهي كتب تحتجُّ المثل المُحكَّم والحكاية الواعظة والعبارة المنسَّقة مع استشهادات ومقتبسات من القرآن والحديث والشعر المنتقى وما شابه. وكان الهدف من هذا اللون الأدبي: تأديب الأمراء ونصح الملوك والحكام، وأشهر وأقدم من أجاد هذا الفن ابن المقفع في كتابيه الساترين: الأدب الصغير والأدب الكبير (وهو مُترجم الكتاب الخالد: كليله ودمته) (*).

كما يُعدُّ أساس السياسة للفقهاء من هذا اللون؛ غير أن لهذه المخطوطة خصوصيتها ومميزاتها التي سنعرض لها بعد قليل. وقد نُسبت المخطوطة في قائمة مخطوطات "مكتبة بطرسبرغ" التي أعدها أنس خالدوف، إلى علي بن ظافر الأزدي، كما أسلفنا.

فمن هو الأزدي؟

هو أبو الحسن، جمال الدين علي بن ظافر بن حسين (٥٦٧ - ٦١٣هـ/ ١١٧١ - ١٢١٦م) (**): أديب، ومؤرخ، وهو مصري وُزر للملك الأشرف (موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب). قال

(*) للتفاصيل انظر: أخلاق الملوك للثعلبي بتحقيقي، (مقدمة التحقيق، ص ٧ - ٨)، دار الطليعة، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(**) جعل ابن شاعر الكتبي (٧٦٤هـ) وفاته سنة ثلاث وعشرين وستمئة هجرية، وهو وهم منه (قوات الوفيات، ج ٣، ص ٢٧، ضمن ترجمته ذات الرقم ٣٤٠).

ياقوت الحموي إن له علوماً جَمّة وفضائل كثيرة، ثم ترك الوزارة.. وعاد إلى مصر وتوفي فيها عن ثمانٍ وأربعين سنة (معجم الأدباء، ص ١٧٧٨، ضمن ترجمته ذات الرقم ٧٦٨).

قال الصَّفدي: دُرّس (الأزدي) بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه، وترسّل إلى الديوان،... كان متوقّداً للخاطر، طلق العبارة، ومع تعلّقه بالدُّنيا له ميل إلى أهل الآخرة، محبّاً لأهل الدين والصّلاح.. روى عن القوصي وغيره (الوافي بالوفيات ١٥٩/٢١، ضمن ترجمته ذات الرقم ١١١).

ويبدو أنه صتّف خلال فترة الاعتزال كتاباً سمّاه: شفاء الخليل في ذمّ الصّاحب والخليل (وهو مفقود)، إلّا أنّ السيوطي (ت ٩١١هـ) اختصره في كتاب سمّاه: الشهاب الثاقب في ذمّ الخليل والصّاحب (نشره الزغلي - الحرستاني، عمّان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

ومن مؤلّفات ابن ظافر الكثيرة، نذكر:

١ - أخبار الدول المُتقطعة، وصلت إلينا قطعة منه تضم الجزء الثاني من مخطوطة الكتاب. نُشرت بعناية المستشرق الفرنسي فرّي Ferre، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- وظهرت منه طبعة ثانية بتحقيق د. محمد مسفر الزهراني، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٨هـ.

٢ - أخبار السلجوقية، مفقود.

٣ - أخبار الشجعان، مفقود.

٤ - بدائع البدائة، حقّقه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٠م.

٥ - مكرّمات الكتاب، مفقود.

- ٦ - مَنْ أُصِيبَ مَنْ اسْمُهُ عَلِي، وَابْتَدَأَ بِعَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ -
عَلَيْهِ السَّلَام. وَمَنْ أَثَارَهُ الَّتِي أورد ذكرها معظم الذين ترجموا له :
٧ - أساس السياسة .
٨ - نفائس الذخيرة [لم يتم] .

القاضي الفاضل

يقول مؤلف مخطوطة أساس السياسة: «كُنْتُ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنْ
تَحْرِيرِهَا، وَبَلُوغِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْ تَنْقِيحِهَا وَتَحْيِيرِهَا، قَدْ عَرَضْتُهَا
بِالْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ الْأَجَلِيِّ الْقَضَائِيِّ الْفَاضِلِيِّ...» .
وهذه العبارات واضحة، فالقاضي الفاضل أشهر أدباء عصره،
ولقد ارتبط به القفطي منذ وقت مبكر، وكان يختلف إليه مع
والده .

وذكر القفطي في ترجمة الأهنومي النحوي اليمني «أنه اجتمع به
في سنة ست وثمانين أو سبع وثمانين في مدرسة القاضي الفاضل
عبد الرحيم بن علي البيسانى» (إنباء النحاة ١/ ٢٧٤) . وكان القاضي
الفاضل يُدعى: "القاضي الأجل الفاضل" (بدائع البدائع، ص ٢٧٠،
٣٩٧) .

والقاضي الفاضل (*) هو عبد الرحيم بن علي السعيد اللخمي،
البيسانى (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٠ م) .

(*) ترجمته مبسطة في معظم المصادر التاريخية والأدبية بينها: خريطة القصر
للعبد الأصفهاني - قسم مصر ١/ ٥١؛ معجم الأدباء ١٥٦٢؛ الوافي بالوفيات
١٨ (٣٣٥ - ٣٧٩)؛ حسن المحاضرة ١/ ٥٦٤، الأعلام ٤/ ٣٤٦ (ط ٤) . . .
والكتب التاريخية المعتمدة حوادث سنة ٥٩٦ هـ .

وهو وزير، من أئمة الكتاب، ولد في عسقلان بفلسطين، وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وتوفي فيها، وكان من وزراء السلطان صلاح الدين الأيوبي ومن مقربيه، ولم يخدم أحداً سواه. قال أحد مترجميه: «كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته»، وكان السلطان صلاح الدين يقول: لا تظنوا أنني ملكك البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل!

وكان كثير الرسائل، وصلت إلينا رسائله (أو بالأدق قطعة منها) طبعت في القاهرة.

قال ياقوت الحموي: ذكروا أن الكتب التي خلفها مائة ألف وعشرون ألف مجلدة، وزادت فهرسته (أي فهرسة مكتبته) على عدة مجلدات (معجم الأدباء، ص ١٥٦٣ ضمن ترجمته ذات الرقم ٦٧٢ ونقله الصَّفدي). وقد طبع ديوانه في جزئين، بتحقيق د. أحمد أحمد بدوي (القاهرة، ١٩٦١م).

الملك العزيز

جاء في مقدمة مخطوط أساس السياسة أن الفضل في تسميته يعود إلى «القاضي الفاضل» الذي شجع المؤلف - وكان شاباً يافع السن - على التأليف في الفكر السياسي الإسلامي بأسلوب سجعى يُناسب عصره.

ثم يقرر مؤلف المخطوط أنه يهديه إلى «مولانا الملك العزيز... فإنه من الملوك الذين سعدت به... رعيته... وطويت على النصيح لها والشفقة عليها... وحبّب إليه العدل والإنصاف...». وهكذا لخص لنا المؤلف الهدف من كتابه المهم.

والمَلِكُ العزيز^(*) هو عُثمان بن يوسف (صلاح الدين بن أيوب) أبو الفتح، عماد الدين (٥٦٧ - ٥٩٥ هـ / ١١٧٢ - ١١٩٨ م). كان نائباً عن أبيه، وتوفي أبوه في دمشق، فاستقل بمُلْك مصر، سنة ٥٨٩ هـ. وحاول انتزاع دمشق من يد أخيه الأفضل فلم ينجح إلا في المحاولة الثالثة سنة ٥٩٢ هـ، فأقام عليها عمّه العادل. كان كريماً، كثير الخير، وله علم بالحديث والفقه. قال المقرئزي: وحَدَّث، وكانت الرعية تحبّه محبة كثيرة. مولده ووفاته بالقاهرة.

ونقل الزركلي عن ابن تغري بردي قوله: استفامت له الأمور في أيامه، وعدل في الرعية، وعف عن أموالها (الأعلام ٢١٥/٤، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩ م).

متى ألف الكتاب؟ وأين؟

ألف أسامس السياسة في القاهرة ما بين سنتي ٥٨٩ و ٥٩٦ هـ، أي ما بين سنة استقلال الملك العزيز بمصر وسنة وفاة القاضي الفاضل. ولما كان القُفْطِي من مواليد سنة ٥٦٨ هـ، فإنه صَنَّف هذا الكتاب، وهو ما بين الحادية والعشرين والثامنة والعشرين من عمره، وهي سنّ مناسبة للتأليف والإبداع وتحمل العلم. لكنني وجدتُ إشارة تؤكد أنه ترك القاهرة مع والده إلى بيت المقدس سنة ٥٩١ هـ، فهل ألف كتابه هذا في حدود تلك السنة؟ شخصياً لا أستبعد ذلك،

(*) انظر ترجمته في: تاريخ ابن الأثير ١٢/٥٤؛ حُلِّي القاهرة لابن سعيد ١٩٥؛ ترويح القلوب ٦٩ (رقم ١٣٤)؛ شفاء القلوب ٢٣٥؛ وكتاب الروضتين لأبي شامة (تح: الأستاذ إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧ م) راجع الفهارس.

فلقد كان تحمّل العلم في تلك العصور يتم منذ الصغر، وسترّد ملاحظة أخرى بهذا الشأن بعد قليل.

القِفْطِي

أوردنا في الصفحات الماضية ما يؤكد أن مخطوط أو كتاب أساس السياسة الذي تُسبب خطأً وضلةً إلى علي بن ظافر الأزدي، لا صلة له بهذا المؤرّخ، الأديب، بل هو للقِفْطِي^(*)؛ فمن هو القِفْطِي؟ إنه علي بن يوسف بن إبراهيم، أبو الحسن، جمال الدين، يُعرف بالقاضي الأكرم وينتهي نسبه إلى وائل بن بكر (٥٦٨ - ٦٤٦هـ/١١٧٢ - ١٢٤٨م).

القِفْطِي أحد الكتاب المشهورين المبرزين. كان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً. وُلد في قِفْط من الصعيد الأعلى بمصر، وكان يجيد مختلف العلوم كاللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل. وشغل منصب الوزارة بحلب، وكان من هواة الكُتب وأوصى بكتّبه للناصر صاحب حلب. *مركز توثيق التراث الحضاري* له نحو ثلاثين كتاباً فقد معظمها أثناء هجوم التتار على بلاد الشام، وأساس السياسة هو رابع كتاب يصل إلينا من آثاره وأعماله،

(*) ترجمته في: معجم الأدباء، ص ٢٠٢٢ - ٢٠٣٦ (رقم ٨٥٥)؛ معجم البلدان (مادة: قِفْط)؛ الطالع السعيد ١٨٣٦؛ الوافي بالوفيات ٢٢/٤٣٣٨؛ فوات الوفيات ٣/١١٧؛ بغية الوعاة للسيوطي ٢/٢١٢؛ تحسن المحاضرة ١/٥٥٤؛ الأعلام ٥/٣٣. وعلي الخطيب كتاب: القِفْطِي: حياته وآثاره وأدبه (دار المعارف، القاهرة).

وهو ثاني كتاب تام، مكتمل له بعد إنشاء الرواة.

أخذ الجلم عن مجموعة من العلماء ممن كانوا يعيشون في مصر من بينهم: محمد بن محمد الأنباري، وأبو طاهر السلفي في الإسكندرية.

أورد له ياقوت قصائد ومقطعات كثيرة تنم عن شاعرية جيدة منها قوله في صفة ولديه (وفيها مبالغة كبيرة) [السريع]:

بكران بل بدران ما يُكسفان رُوحان للملك وريحانان
لؤلؤتا بحر وإن شئت قل ياقوتتا نحر وعقدان لبان
فرعان في دوحة عز سَمَتْ غيثان بل بهران بل رحمتان
سيملكان الأرض حتى يرى لي منهما حران والرقتان

وللقفطي الشيباني إجازة من أبي طاهر السلفي، المتقدم ذكره، والمتوفى سنة ٥٧٦هـ، كما له إجازة عامة من العماد الأصبهاني (محمد بن محمد بن حامد). أورد القفطي الإشارة الأولى في إنشاء الرواة ١/١٧١ و ١/٣٣٠، أما الإلماع الثاني فورد في المصدر نفسه ١/٣٦٤.

وكان المؤلف لهذا الكتاب قد ترك القاهرة مع والده إلى بيت المقدس سنة ٥٩١هـ، وهذا يعزز كونه ألف أساس السياسة قبل هذا التاريخ المحدد كما أسلفنا.

وتثير مسألة حصول القفطي على إجازة عامة من السلفي - أحد أبرز علماء الحديث في القرن السادس الهجري - التساؤلات: فكيف ينال طفل في نحو التاسعة من عمره إجازة من أعظم علماء الحديث؟ القفطي ذهب إلى السلفي في الإسكندرية مع والده الوزير.. لهذا

شجعه السلفي على المضي في دروب العلم، وهذا هو تفسيرنا المنطقي لهذه الإجازة.

الكتاب

يذكر القُطبي في مقدمته الوجيزة، أنه وقعت إليه كلمات لأحد ملوك الفُرس - لم يُسمّه -؛ كلمات تشتمل «جُملاً من السياسات المُلوكية، والآداب الحكيمية» جاءت ردّاً على بعض ملوك البلدان المجاورة لبلاده، ممن هابوه وخضعوا لسلطانهِ وصالحوه. ولقد تعهد لهم بأنهم إذا انقادوا لحكمه ودفَعوا ما عليهم من ضرائب وجزي (جمع جزية)، فإنهم سيعيشون بأمان واحترام وتقدير.

وأراد الملك الذي استجاب لكل شروط إمبراطور فارس أن يعرف مِنْ حَامِيهِ كيف استقام له الملك بمثل هذه السهولة والبُسر، بحيث أصبح الآخرون - من الملوك والحكام - ينظرون إليه باحترام؟ فأجاب هذا بأنه عَمِلَ على سَبْعِ خِصَالٍ جعلته ينتصر ويشيع ذِكره الطيب في الآفاق والبلدان.

وهذه الخِصَالُ (الفصول) تتلخّص بأنه:

١ - لم يهزل في أمر، ولا نهى قط (لأنَّ الهزل يصغّره بعيون الرعية)؛

٢ - لم يخلف وعداً ولا وعيداً (والوعيد هو التهديد)؛

٣ - عاقب للذنب، أي للخطأ الجسيم المقصود، لا للعُصَبِ الآني المتعجل؛

٤ - ولى الإدارات والمصالح إلى أناسٍ مشهودٍ لهم بالكفاءة، إضافة إلى الإخلاص والوفاء؛

٥ - دخل قلوب الرعية بسهولة ويُسر لاستقامته؛

٦ - كان شديد الرهبة، تهابه الرعية، لكنه لم يكن حقوداً؛

٧ - كان متزناً في أحكامه وتقييمه بين الناس، ولا يسمح لهم بالفضول، أي تقديم معلومات إلى السلطة لا تتسم بالدقة بل ربما تتضمن الشُّعْب أو الدُّس لأغراض شخصية.

هذه الخصال الأخلاقية أو الحكم الفارسية تُنسب إلى سابور وسواه من ملوك فارس. وقد وردت في مصادر يصعب حصرها وعدّها، أقدمها عيون الأخبار لابن قُتيبة (٢٧٦هـ)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٣٤٦هـ)، ومروج الذهب للمسعودي (أتم تأليفه سنة ٣٣٢هـ وتوفي سنة ٣٤٦هـ)، إضافةً إلى عشراتٍ من كتب التراث العربي - الإسلامي. وأثناء هذا النقل حدث اختلافٌ وحذفٌ وتصرفٌ في الكلمات والذخائر الحكمية. وهو - أي - القُفْطِي - رأى في هذه الحكم "ثروة" على إيجازها وقلة كلماتها، تجسّد أسس السياسة وفلسفة السلطة، فأثر أن يقدّمها إلى ملك بلاده، لأنه الأجدر بمطالعتها والأخذ بها وجعلها فلسفةً ودرباً للراعي في حُكم الرعية.

ولما كان (الملك العزيز) مشغولاً بمسؤولياته الخطيرة، قرّر شرحها وصياغتها صياغةً أدبية، غير أنه احتار في تحديد الأسلوب الذي يُقدّم فيه هذه الحكم الفارسية فاختار أسلوب الأسمار لا الحديث على لسان الحيوانات كما يفعل سواه.

والأسمار جمع سمر، وهي مجموعة حكايات وأساطير وطرائف ووقائع دونها العرب بدءاً من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، وكانت لهم مجالس سمر على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والفكرية؛ فيأتي في المقدمة الخليفة، ثم ولي عهده،

فالأمراء . . وهكذا حتى رؤساء الأحياء الشعبية .

وكان الجهشيارى (ت ٣٣١هـ) صاحب كتاب الوزراء أكثر من اهتم بهذا النمط الرائع من التأليف .

ولا بأس أن نقول إن المؤلف اختار السجع الذي كان سائداً آنذاك . وكون القفطي كان من أشد المعجبين بالقاضي الفاضل ، فإنه قلّد أسلوبه (= أسلوب القاضي) والذي سحر الناس وفتنهم في القرن السادس الهجري وما بعده .

يتصدر موضوع المرأة هذا الكتاب بكل همومه ومشكلاته ، ولا بأس أن نستطرد هنا فنقول إن الحرمة من الملوك لا يُكثرون من عدد النساء ، بل يختارون ويستجودون ، واتخاذ العدد الكثير منهن مضر .

يذكر العباسي أن بعض الملوك يرى خلاف هذا الرأي ، فيكثر في العدد ، حتى بلغت عدتهن عند بعض الأكاسرة ستة آلاف واحدة . وكانت لجماعة من خلفاء بني العباس الألف وما حولها ، وكذلك لجماعة من ملوك بني سامان . . .

يضيف العباسي - وهو من نسل الخلفاء العباسيين - أنه ينبغي للملك أن لا يُكثر الجلوس مع النساء ، ولا يطيل الحديث معهن ، فإن فيه من التحليل للقوة التمييزية والغضبية كثير ، يظهر أثره ، وإنما ينبغي أن يكون ذلك عند كلال الجسد وملال المخاطر ، وفي وسط النهار ، وبعض الليل ، والمختار منهن ما سُرف جنسه ، وحسن منظره ، وكَمُل أدبه (أثار الأول للحسن بن عبد الله العباسي ، ٢٢٣) .

وجاء في ترجمة المتوكل أنه كان منهمكاً في اللذات والشراب ، وكان له أربعة آلاف شربة (تاريخ الخلفاء للسيوطي ، تح . إبراهيم صالح ، ٤١١) .

وأفادنا ابن النديم في كتابه الخالد الفهرست أن الإسكندر المقدوني كان أول من سمر بالليل، وقد زودنا بأسماء العشرات ممن ألفوا في الأسمار من بينهم كُتّاب بارزون ووزراء وشعراء لامعون، وآخرون لا نعرف عنهم أي شيء.

ولقد جاءت هذه الأسمار ضمن الفن الأول من المقالة الثامنة تحت عنوان: «في أخبار المسامرين والمخرفين وأسماء الكتب المصنّفة في الأسمار» (الفهرست، ص ص ٣٦٣ - ٣٦٧، ط. تجدد، طهران).

ولا ننس هنا الإشارة - مجرد الإشارة - إلى ألف ليلة وليلة، الذي وصلت إلينا قطعة صغيرة منه مكتوبة في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، نشرتها الدكتورة نبيهة عبود (من العراق). والمخطوطة محفوظة اليوم في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو الأميركية. (انظر: أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم لكوركيس حنا عواد، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢م، ص ٩٠).

وعلى سبيل الاستطراد، نوضح أن من ثمار اتصال العرب بالفُرس كان ترجمة بعض الفُرس إلى اللغة العربية كُتباً شتى في العلوم والتاريخ والسُير والموسيقى والأخلاق ونظام الحكم: - فقد بدأت ترجمة الكُتب التاريخية إلى العربية في عهد مبكر فكان في مكتبة هشام بن عبد الملك كُتاب في تاريخ الفُرس وسياستهم (ترجم من الفارسية إلى العربية). - وكان العديد من الوزراء العباسيين فُرساً، لكنهم برعوا في اللغة العربية والأدب العربي.

- واشتهر البرامكة بتشجيعهم نشر الثقافة الفارسية.

- وأشهر المترجمين في العصر العباسي الأول: نوبخت، وابنه الفضل الذي نُقل من الفارسية كُتباً في النجوم وغيرها، وعلي بن زياد التميمي نُقل من الفارسية كتاب زيج الشهريار، والحسن بن سهل كان من المنجمين والمترجمين.

- وكثُر في العصر العباسي أبناء الفرس الملمين بالعربية والفارسية، وكان في العصر نفسه عرب يعرفون الفارسية وهؤلاء وأولئك كان لهم شعر ونثر فيه أفكار فارسية في قوالب عربية (انظر: تيارات ثقافية بين العرب والفرس للدكتور أحمد محمد الحوفي ط ٣، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٨م. وانظر أيضاً: أخلاق الملوك لمحمد بن الحارث الثعلبي، وآداب الملوك لعلي بن رزين الكاتب، والكتابان بتحقيقي، ومن إصدار دار الطليعة، بيروت).

- يصعب اليوم علينا معرفة وتحديد المصادر التي استند إليها القفطي في كتابه الموجود بين أيدينا، لكن لا ريب في أنه استند إلى بعض الكتب الساسانية ومنها: كاهنامه وأئين نامه. وقد أشار الأستاذ محمد محمدي في دراسة له تناولت كتاب أخلاق الملوك (تُنظر مقدمة تحقيقه بقلمه، ص ص ١٠ - ١١) أن بين هذه المصادر "ناجنامه" - وليس هذا الكتاب اسماً خاصاً بكتاب معين بل هو عنوان لفئة الكتب الموضوعة لغرض خاص، شأنه في ذلك شأن الكتب الفارسية التي تدلّ عناوينها على نمط خاص من الكتب أمثال: "آئين نامه"، و"أندروزنامه"، و"بندنامه" وغيرها، فـ "آئين نامه" - مثلاً - اسم لفئة من الكتب التعليمية التي تهدف إلى تعليم فن من الفنون أو أدب من الآداب، مشتملة على قواعد ذلك الفن وأصوله

ودساتيره مثل كتاب آئين الرمي لبهرام جور وغيره. و"أندروزنامه" أو "بندنامه" عنوان للكتب المشتملة على المواعظ والوصايا والرسائل الشعبية في الآداب والأخلاق، كان الأدب الساساني يحفل بها. - لقد أفاد القفطي كثيراً من كُتُب الـ "تاجنامه"، مثلما أفاد غيره من المؤلفين كما سٌلاحظ، على أن القفطي لم يكتفِ بما نقل واقتبس من التراث الفارسي بل إنه مزجه بالتراث اليوناني والتراث العربي - الإسلامي.

التراث اليوناني

لقد أغنانا الدكتور إحسان عباس عن تتبع جذور الصلة بين الأدبين اليوناني والعربي وذلك في كتابه المتميز: ملامح يونانية في الأدب العربي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م)، وقبله (في: عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله ورسائل سالم (عثمان، ١٩٨٨م)، حيث سلط الضوء على عبد الحميد بن يحيى الكاتب ومساعدته سالم بن عبد الحميد، الذي كان ختن الأول (أي والد زوجته)، وعبد الحميد كان مولى الأمويين. وتدور رسائل سالم على محورين هما: الطاعة والمعصية. ثم يستتبع ذلك بذكر ما لذلك من حسنات وسيئات، فيتحدث عن اختيار الله الإسلام ديناً للبشرية جمعاء... وأن طاعة الخلفاء حتمية، فهم ولاة الحق وأنصار الدين، وهم موكلون بالدفاع عن الطاعة ومنعها والذب عن حرمتها... إلخ.

التراث العربي - الإسلامي

تصادف ميلاد "الآداب السلطانية" في بداياتها مع ما ندعوه النصوص العربية بـ "انقلاب الخلافة إلى ملك"، وكان في جزء منها نقول واقتباسات من التراث السياسي الفارسي، فاستعانت به في تدبير أمور الدولة "الإسلامية" الوليدة؛ وهي كتابات تقوم في أساسها على مبدأ "نصيحة أولي الأمر في تسيير شؤون الدولة"، وتُقدّم في هذه الكتابات مجموعة نصائح كما نلاحظ عند الثعلبي ونظام الملك وابن رزین الكاتب والثعالبي والماوردي(*) وأخيراً القفطي.

وصف المخطوطة

استندت في نشرتي لهذا الكتاب إلى مخطوطة "مكتبة بطرسبرغ" ذات الرقم ٦٧٣٩. وقد بيّنت في الصفحات الماضية أنه كانت ثمة مخطوطة ثانية من أساس السياسة محفوظة في مكتبة خالص أفندي بإستانبول معزوة لمؤلفها الحقيقي أبي الحسن القفطي لا إلى ابن ظافر الأزدي، إلا أنها اختفت أثناء الحرب العالمية الثانية، فالنسخة الروسية تعدّ إذاً فريدة اليوم.

ومخطوطتنا مصرية الأصل، اقتناها أحد المستشرقين الروس - مع مخطوطات وآثار عربية وشرقية من القاهرة - بناءً على طلب بعض القياصرة. ودخلت المخطوطة روسيا نحو سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م لتنتقل بين أمصارها حتى استقرت في "مكتبة بطرسبرغ".

(*) لمزيد من التفاصيل انظر: الآداب السلطانية للدكتور عز الدين العلام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٣٢٤، شباط/فبراير ٢٠٠٦، ص ٨ وما بعدها.

والمخطوطة خزائنية نفيسة، صغيرة الحجم قوامها ٦٥ ورقة، مكتوبة بخط جميل، أنيق، مُعْتَنَى به، والناسخ مجيد لعمله، وهي مشكولة في معظمها، تتكون كل صفحة منها من أحد عشر سطراً. وفي ختام الصفحة اليمنى من كثير من صفحات المخطوطة يوجد ما يُسمّى النساخ بـ "الطيارة"، ألا وهي وضع الكلمة الأولى من بداية الصفحة اليسرى. والنسخة تامة إلا في مواضع قليلة اختفت فيها بعض الكلمات، بسبب سوء الحفظ أو الرطوبة أو عوامل أخرى.

رُزِنَت المخطوطة بنقوش رائعة، ووضعت كلمة "أساس"، داخل نجمة أو ما يشبه النجمة ذات ١٢ رأساً. وكذلك كلمة "السياسة". والظاهر أن الرؤوس ترمز إلى الأبراج.

ولصق بعض المتأخرين ورقة يتضح في السطر الأول منها عبارة: «كتاب أساس السياسة»، وتحتها: «ذخيرة» (اقرأ: ذخيرة)، وبجوارها كلمة لا يتضح منها سوى حروف: «المر...». وأظن أن السجعة يمكن أن تكتمل هكذا: «ذخيرة المراساة». وفي القاموس: مارسه: عالجه وزاوله.

وخُتِمَت المخطوطة بالجملة التالية: «نم كتاب أساس السياسة. والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد نبي الرحمة وعلى آله وأصحابه وسلامه».

منهج التحقيق

أوجز المنهج الذي اتخذته في نشر هذا الكتاب بالنقاط الآتية:
١ - اتخذت مخطوطة «بطرسبرغ» الروسية أساساً في تحقيقي،

كونها الوحيدة المتيسرة، بعد فقدان مخطوطة "خالص" في
إستانبول، ورمزت إليها بـ «الأصل».

٢ - حرصتُ على الحفاظ على متن الكتاب، ولم أضف إليه
إلا العناوين التي وضعتها بين حاصرتين هكذا [...]، اجتهداً
مني لإزالة النصوص.

٣ - في المخطوطة كلمات مطموسة، وسبب ذلك سوء الحفظ
أو الرطوبة وما شابه. وقد وُفِّقَ في قراءة شيء من هذه الكلمات،
وعجزتُ عن قراءة بعض الكلمات أو العبارات، فوضعتها بين
حاصرتين دلالة عدم القدرة على قراءة تلك الكلمات المخفية،
المطموسة.

٤ - وثقتُ نصوص الكتاب بالمصادر التي نُقل منها أو التي
تقاربها في المعنى وما إلى ذلك، ورجعتُ في ذلك إلى عيون كُتِبَ
التراث والسياسة والأدب والأسفار والجغرافية والتاريخ... وغيرها.
٥ - تعمدتُ عدم إثقال هوامش الكتاب باختلاف الروايات في
المظان، إلا عند الضرورة القصوى.

٦ - شرحتُ طائفة من الكلمات اللغوية أو الأدبية التي قد
تصعب على بعض القراء، بالعودة إلى قواميس ومعاجم اللغة
المعتمدة.

٧ - عُنيتُ بتخريج الأشعار بالعودة إلى الدواوين والكتب الأدبية
المشهورة، واقتصدتُ في التخريجات متعمداً لئلا أضجر القراء.

٨ - ترجمتُ لمجموعة من الأعلام وأشرت إلى عجزني عن
الترجمة للبعض منهم، احتراماً للقارئ.

٩ - مهدتُ للكتاب بمقدمة تاريخية سلطت الضوء فيها على

العلاقات العربية - الفارسية والتراث السياسي الأدبي الفارسي، كما
قدّمت ترجمة للمؤلف وأخرى للقاضي الفاضل الذي شجع القفطي
الشاب والذي يعود إليه الفضل في تسمية الكتاب، وحرصت على
تقديم سيرة وجيزة للملك العزيز الذي ألف له أساس السياسة.

١٠ - صنعتُ للكتاب فهارس فنية ليسهل الانتفاع به .

١١ - اقتصدتُ في التخريجات ولم أتوسع في تخريج الحكم
وأشطار الأشعار، فهذه المهمة أتركها لغيري .

وقبل أن أرمي القلم جانباً أقول : يحزنني أن يصدر هذا الكتاب
بعد رحيل مؤسس وعميد دار الطليعة الدكتور بشير الداعوق إلى دار
الحق والبقاء، فخر الفكر العربي الكثير الكثير، وخسرتُ شخصياً
صديقاً وفياً، مشجعاً أهل العلم والبحث . كان أساس السياسة آخر
كتاب طالعه فقيدنا مخطوطاً، فأوصى بنشره .

رحم الله أبا حازم، وعوضنا - جميعاً - عن هذه الخسارة
الموجعة .

باريس، رمضان ١٤٢٨ هـ - تشرين الأول/سبتمبر ٢٠٠٧ م .

جليل إبراهيم العطية

الرموز والمصطلحات

هـ: هجرية.

م: ميلادية.

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

ظ: انظر.

ت: توفي.

ج: جمع وجزء.

ط: طبعة.

مج: مجلد.

العقد: العقد الفريد لابن عبد ربه.

ابن الأثير: موسوعة الكامل في التاريخ لابن الأثير.

ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.

نماذج من صور المخطوط



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی



كتاب التماس السالكين
والتجيم المأمورين
والتصديق
العام



لِنَقْضِ عَنْ دَوَى الْحَاجَةِ مَنَاحِي مَقْلَهَا إِلَى الْبِلَادِ
التَّارِخِيَةِ وَرَضِدَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهَا حَاجِبًا لَمَّا
يَعْبُرُوا مِنْ حَادِثِهِ أَوْ يَطْرُقُ مِنْ جَانِبِهِ فَلَمْ يَمَسْ
ذَلِكَ مَا يَرِيدُ عَلَى كِفَايَتِكَ وَيَقْضِي عَنْ مَقْدَارِ
حَاجَتِكَ فَتَكُونُ صِلَتُهُمْ وَقِيلَ لِلْمُسْتَعْمِرِ وَأَقَامَ
عِنْدَهُمْ مَدَّةً يَعْلَمُهَا فِي بَيْتِ الدِّينِ وَلِجَمَاعَةِ
وَيَسِيرُ لَهُمْ رُسُومُهُ وَيَسِيرُ لَهُمْ أَعْلَامُهُ فَبِمَا
هِيَ ذَاتُ بَوْمٍ جَالِسًا فِي ظِلِّهَا بِهِ وَعَبْدٌ مِهْمَرٌ
مِنْ لَاحِظَتِهِ مِنْ أَوْدَايِهِ إِذَا سَمِعَ فِي ظَاهِرِ الْقَرْيَةِ
صَوْتًا أَرْتَفَعَتْ لَهَا الْأَصْوَاتُ وَصَبَّحَهُ مَدْعَاةٌ
أَسْمَعُ الْأُمُوتَ وَاسْتَبْطَارَ لَهَا مِنَ الْعَارِ مَا

كَادَ حُجُبُ ضَوْ الشَّمْسِ عَلَى الْأَبْصَارِ فَسَأَلَ عَنْ
 تِلْكَ الصَّغِيَّةِ وَمَا سَبَبُ تِلْكَ الْحَمَةِ هَبِيلُ اللَّهِ وَصُولُ
 الْأَعْيَالِ الَّذِي يَحْضُرُ لِلْمَلِكِ الْحَرَجُ
 وَمَطَالِبُهُمْ بِالصِّيَافَةِ الْمُجَهَّمَةِ وَسُوءُ مَقَرِّ
 الْأُمُورِ الْمُتَحَوِّفَةِ وَتَوْظِيفُهُمْ عَلَى النَّاسِ الْكُلِّ
 الشَّاقَّةِ وَأَحْزَانُهُمْ كَلَامُهُمْ بِمَا لَا يَنْصَرُّ لَهُ
 يَدُ طَافَةٍ وَأَسِيدَاؤُهُمْ يُعَدُّ ذَلِكَ الْحَرَجُ
 بِأَسْتَدِ الْعَيْفَةِ وَجَمَلُهُمْ عَلَى أحوَالِ الْأَفْوَايَا
 يُلْحِقُهَا بِأَحْوَالِ أَوَّلِي الضَّعْفَةِ قَضَبٌ بِأَجْدَى
 يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَمَقَرُّ مَقَرِّ دَوِي كَيْدِ
 حَرَى وَقَالَ مَا قَدَرْتُ أَنْ أَعْلَسَ إِلَيَّ أَنْ أَسْأَلَ عَمَلِ

لكل زمان حظ من العمل الذي لا يجمع سواه فإذا
عمل على اليوم غدا صر به ومن يعاظمه

فإذا جمع للملك فديرتا جمع وقاض فديع صالح

ومعتمد جليس خير بأعمال الجروب ولنزوطو حيا

وعامل أمين مستعمل بالعمل ناهي

دولته واستقام واستوي على سوق لا تساق وقام

ومما احتل من هذه الأركان احتل من الملك

بقدرا ما وهي

منهم الجوالد على السوي

وحسن من الملك بها الاتعاظ

أحسن مما أتت ونظمت الدر ونرتب فما أمرت به

أمرت

أَمَرْتُ وَأُشْرْتُ • خَرِبَ حَبْرًا مِنْ قُرَيْشٍ جُمِعَتْ بِهِ
 الْخَبْرَاتُ فِي قُرَيْشٍ • وَلَا تَزَالُ حِكْمُ مَوْلَاكَ تَحْبُلُوا
 الْقُلُوبَ وَتُجَسِّسُ عَنْهَا الدُّرْنَ • ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ
 هَمْلِكَ لَوْلَاهُ دَابِرُهُ سَطِرَتْ فِيهَا الْأَمَاطُ الْحَكِيمُ
 وَأَصْبَحَ إِلَيْهَا الشَّرْحُ الَّذِي تَحْرِي مِنْهَا مَجْرَى الْأَوْصَاحِ
 مِنْ التَّهْمِيمِ • وَأَخَذَ وَلَهُ يَدُ بَاسِهِ دَلِيلُ
 وَحِفْظُهُ وَالنَّظَرُ فِي مَعَارِي أَدَابِهِ وَأَسْرَارِهِ عَظِيمُهُ
 فَاسْتَفَعَ الْوَلَدُ تَحْفُظُهُ لَهَا وَسَعِدَتْ • وَجَعَلَهَا
 نَصَبَ عَيْنِهِ فَكَانَ فِي التَّدْبِيرِ إِلَيْهَا رَجْعٌ وَعَلَيْهَا تَعْمِيدُ
 • ثُمَّ كَانَتْ أَسَاسَ السِّيَاسَةِ •

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَاةُ عَلِيِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاصْحَابِهِ وَسَلَّمَ



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

اساس السیاسة



مرکز تحقیقات و پژوهش اسلامی



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقّتي

الحمد لله المنفرد بتدبير ملكه. الغني عن الشريك في شيء من أمره، فلا ينازعه أحد في ملكه. وصلى الله على نبيه سيدنا محمد الذي ابتعته داعياً من القول إلى صدقه، وناهياً عن إفكه^(١). وأمرأً باعتماد الصواب، وزاجراً عن تركه. وعلى آله وصحبه^(*) المجاهدين في سبيله من حاد بكفره وشركه، وعُتد عن طاعته بقائل ظنه وشكّه وسلم تسليماً.

أما بعد؛ فإِنَّه وقعت إلي كلمات لبعض ملوك الفُرس^(٢) تتضمن جُملاً من السياسات الملوكية، والآداب الحكيمية. سأله عنها بعض الملوك المجاورين لبلاده. المودعين^(٣) له مودعة من قاداته المهابة إلى انقياده. وضمن له أنه متى أطلعه عليها أن ينزل على حكمه.

(١) الإفك: الكذب.

(*) في الأصل خطأ تَبَّه إليه الناسخ.

(٢) المقصود هنا سابور (٢٤١ - ٢٧٢م) بن أردشير بن بابك، ثاني ملوك الدولة الساسانية.

(٣) المودعون ج. المودع، وهي هنا: المتصالحون.

ويؤدي إليه الجزية^(١) عن نفسه وعن أهل مملكته على رغبتهم ورغبتهم. فقال له في سؤاله: ما السبب الذي به استقام لك الملك واعتدل، وانتظم به أمر دولتك، حتى ظهرت على من يناوئها من الدول؟ فقال إني عملت على سبع خصال فآل بي الأمر في اعتمادها إلى أحسن مآل^(٢) وهي^(٣):

- (١) الجزية ج. جزى، وهي الضريبة، وسوف يرد تعريفها لاحقاً.
- (٢) آل: رجع. والجمع: رجوع.
- (٣) ترد هذه الخصال أو الفصول التي بنى عليها القفطي كتابه هذا في حشد من المصادر التي يصعب رصدها وحصرها نذكر من بينها:
- عيون الأخبار (من دون ذكر الملك)، ج ١، ص ١٠ (ضمن كتاب السلطان).
- مروج الذهب ١/ ٢٩٠ (رقم ٥٩٠)، ط. بلا (كتب ملوك الروم لسابور بن أردشير ثمان خصال).
- المقصد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٤ (غير منسوب).
- نثر الدر ٤/ ٢٤١ (بعض الملوك) و ١/ ٢٤ (سأبور).
- آداب الملوك للشمالي ٨٣.
- بهجة المجالس ١/ ٣٣٧ (لكسرى ذي الأكتاف).
- آداب وحكم وأخبار لياقوت المنصمي: ٢١، (ط. بيروت).
- لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٣٧ (عن كسرى).
- التذكرة الحمدونية ١/ ٤٠٨ (الفقرة ١٠٤٦) (كتب ملك إلى ملك).
- تسهيل النظر للماوردي (تح: د. رضوان السيد) ٢٧٩ - ٢٨٠.
- الأسد والنواص ١٩٧ - ١٩٨: (بعض الملوك).
- الجواهر النفيس لابن الحداد: ٧٢ - ٧٣.
- صوان الحكمة لأبي سليمان المنطقي السجستاني (تح: عبد الرحمن بدوي، طهران ١٩٧٤م) ٣١٩: كتب ملك إلى ملك: إما فارسي إلى رومي، أو رومي إلى فارسي (٨ خصال) فيه: «وسهلت الإذن من غير ضعف،... وحسنت الفضول».
- نهاية الأرب للنويري ٦: ٤٤ (بلا نسبة).

- إني لم أهزل في أمرٍ، ولا نهى قطّ.
- ولم أخلف وعداً ولا وعيداً.
- وعاقبتُ للذنب، لا للغضب.
- ووليت للغناء لا للهوى والطرب^(*).
- وأودعتُ قلوبَ الرعية من غيرِ جِراءة.
- وشدةَ الزهبة، من غيره ضغينة.
- وعممتُ بالقوت، ومنعتُ زائد^(**) الفضول.
- وقابلتُ ضعيفَ الأعداء، مقابلة قوتها.

فلما تأملتُ هذه الألفاظ العذاب، رأيتها قد أودعتُ من حكم السياسة ما قضى لها بالحكمة وفصل الخطاب، وحكم لها بالاشتغال على محاسن السياسات وغرائب الآداب، إلا أنها من الجزالة على حد تنبؤ عنه أكثر العقول.

ومن الإيجاز في غاية يعزُّ على أكثر الأذهان إلى أوائلها الوصول. وعلمتُ أن الملوك هم الذين يجب أن يكونوا بها أعم انتفاعاً. ولمحاسن آدابها أكثر اتباعاً. إلا أن خواطرهم بكثرة الأشغال مغمورة، وأوقاتهم يتعاضد الأحوال مغمورة. وقلوبهم إلى ما يروّجها من الفكاهات متلفتة. ونفوسهم إلى ما يبعث نشاطها من كد الأعمال متوثبة متفلّنة.

= - كتاب الآداب لابن شمس الخلافة : ٢٧.

- المنهج المسلوك في سياسة الملوك : ٣٩٣ (كتب قبصر إلى كسرى).

(*) الكلمة الأخيرة أضيفت من قبل الناسخ.

(**) كلمة "زائد" غير موجودة في : عيون الأخبار وعدة مصادر. والقوت : الطعام.

فرايتُ أن أمهدَ معاني هذه الألفاظ وأبسّطها. وأقربها إلى الأفهام تقريباً لا يعزُّ عليها معه أن يقيدها ويضبطها. وأكسوها من القول حلةً تجلو بدائع محاسنها. وأصوغ لها من اللفظ حلية تجلي بعيني أي قلب معانيها. وأجلوها من المعارض في أحسنها سوائف وعوارض. وأتخير لها من الأساليب ما يسلم لحسن الاختيار فيه المناقض والمعارض.

وفكرتُ فلم أجد أوفق من سبكها في قوالب (*) الأسمار^(١). وإبداعها بواطن الأخبار عن قديمات الأخبار. فإن أكثر النفوس إلى سماع القصص البعيدة مايلة. وعنّها في أكثر الأوقات باحثة وعن غرائبها سايلة. لا سيما أخبار الملوك مع جوارهم وحظاياهم. وفنون أحوالهم معهم وصنوف قضاياهم. فإن نفوس الملوك إليها أكثر تطلعاً. وأسماعهم إلى أخبارها أشد إصغاءً وتسمعاً. فاخترت لها هذا الأسلوب من بين الأساليب. وأدرجتها ضمن قصة جرت لبعض الملوك مع بعض حظاياها فيما دار بينهما من الأعاجيب. وسلكت في ذلك مسلك من تقدمني ممن قصد التأديب لا الأكاذيب. ووضع الأمثال الحكيمية على السنن المعجموات كالذئب مع الثعلب^(٢) والأسد

(*) في الأصل: قواليب.

(١) الأسمار ج. سمر: وهي أحاديث الليل. السامر: مجلس السمر، قال النديم في كتابه الشهير: إن الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء ابتدأ بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم. فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة، كل ليلة سمر تام. الفهرست: ٣٦٣ (ط. تجديد) ولاحظ مقدمة التحقيق.

(٢) وصل إلينا في هذا المضممار كتاب الثمر والثعلب لسهل بن هارون (٢١٥هـ)، حقه د. المنجي الكعبي (تونس، ١٩٨٠م).

مع الذئب^(١). والله تعالى يعلم خالص النية فيها. والسبب الباعث على نشاط معانيها. ثم وصلتها بفصول مبعدة في السياسة أيضاً لبعض الحكماء منسوجة على منوالها. مسحوبة الجبر على مساحب أذيالها. جارية في شرح الجمل مجراها. سارية في إصلاح المنطق وتفسير المجمل مسراها. وفصول في المقاصد والوصايا موصولة بها صلة الذين وأخواتها بالصلوات والعوائد. مضمومة الفوائد منها إلى الفوائد ضم الأوشحة لترائب^(٢) النواهد.

[القاضي الفاضل]

وكنْتُ عند الفراغ من تحريرها، وبلوغ الغرض المقصود من تنقيحها وتحريرها، قد عرضتها بالمجلس المال الأجلّي القضائي الفاضلي^(٣) لا زال فضله مَحْسُوداً. ولا يَرَحُ خَلل الأخوان يُمَنُّ نظره

(١) بين أيدينا: الأسد والغواص لمؤلف مجهول من القرن الخامس الهجري.

تح: د. رضوان السيد (دار الطلبة، بيروت، ١٩٧٨م).

(٢) الترائب: قال الأصمعي: هي ضلعان تليان الترقوتين. خلق الإنسان لابن عبد الرحمن، ٧٨.

(٣) المجلس المال الأجلّي القضائي الفاضلي: القاضي الفاضل عبد الرحيم بن

علي بن الحسن اللخمي البيسانّي [٥٢٩ - ٥٩٦هـ]: وزير، من أئمة

الكتاب، صاحب ديوان الإنشاء ووزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين

يوسف بن أيوب. ترك نحو مائة مجلد من إنشائه.

ترجمته في الخريدة (قسم مصر) ١: ٣٥ - ٥٤ وفيات الأعيان ٣: ١٥٨ -

١٦٣، الوافي بالوفيات ٨: ٣٣٥ - ٣٧٩.

وللدكتور أحمد بدوي: القاضي الفاضل، القاهرة، د. ت. ونشر ديوانه في

القاهرة (١٩٦١م)، ونشرت د. فتحية النبراوي: إنشاءات القاضي الفاضل

(القاهرة ١٩٨٠)، وتلاحظ كذلك مقدمة التحقيق.

مُسَدوداً. وهو المجلس الذي يَتميّزُ به الخبيثُ من الطيّب. ولا يَزكو عنده إلا ما جَاده من الصوابِ صوبَ صَيِّب. فاستصوب مقصدها. واستعذب مَوْرِدَها. واستجاد مغزاها. واستسدَ مَزاها. ورسم - أعلا الله أمره - بأن توسم "بأساس السياسة" تشریفاً لي بالرفع بذلك من قدري، واستدامةً لعادته الحُسنى في تحسين أمري. وإظهار جميل رأيه الذي ما زلتُ أعتده ظهيراً على نوائب دهري. فامتثلتُ أمره العالی ثيماً ببركاته. وتلقياً للنجاح باقتفاء مراسمه من جميع جهاته.

[الملك العزيز]

ولما كان محلُّ هذه الرسالة من الجدِّ على ما اشتملت عليه من الفكاهة محل النصيحة الرقيقة، ومقصدها في الحق على ما انطوى في أفنانها من الدُعابة من أشرف المقاصد الصحيحة على الحقيقة. وكان النصيح في الدين من أؤكد الواجبات قرضاً. والقيام به من أنفس ما يقدمه المدخر عند الله قرضاً. كان أحقَّ مَنْ رُفِت إليه عقائل النصايح. وأولى من نُبِّه بالكلم الطيب على العمل الصالح. مَنْ كانت بضايح الخير (*) عنده نافقة. وسريته في الرعاية لحقوق الله - سبحانه - لعلابته موافقة، وعزيمته في القيام بأوامر الله صحيحة صادقة. وهمته في اقتناص شِوَارِد المعالي والمآثر متقدمة سابقة. مولانا السُّيد الأجل، العَالِم، السلطان العادل، المجاهد، المرباط، الملك العزيز^(١). أعزَّ الله نصره وأسعد به عُضره. وعمر ببقائه ممالكه

(*) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(١) الملك العزيز: عثمان بن يوسف (صلاح الدين) من ملوك الدولة الأيوبية بمصر. كان نائباً فيها عن أبيه وتوفي أبوه في دمشق، فاستقل بملك مصر =

وخصَّ مِنْ بَيْنِهَا بِصَرِّهِ. فَإِنَّهُ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِي (*) سَعَدَتْ بِهِ مِنَ الْمُلُوكِ رِعْيَتُهُ. وَطَوِّثَ عَلَى النَّصْحِ لَهَا وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهَا طَوِّثَتُهُ. وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ. وَوَرَدَ مِنْ مَنَاهِلِ حُسْنِ السِّيَاسَةِ كُلِّ نَمِيرٍ [...] (**). وَأَحْلَاهُ اللَّهُ مِنْ شَرِيفِ الْمَنَاصِبِ وَكَرِيمِ الضَّرَائِبِ^(١) شَرَفًا زَفِيحًا. وَجَمَعَ لِأَيَّامِهِ الْمُحَامِدَ وَالْمَحَاسِنَ جَمِيعًا. فَمَهَّدَ لِلْأَمَةِ مِنْ بَرِّهِ وَلَطْفِهِ كُنْفًا وَسِيْعًا. وَأَنَالَهُمْ مِنْ عَرْفِهِ وَعَظْفِهِ مَا أَرْعَاهُمْ رَوْضَ الْأَمَانِي هَنِيئًا مَرِيئًا مَرِيحًا. وَلَمْ نَلْهِهِ إِنْ كَانَ مُلْكًا مَطَاعًا أَنْ يَكُونَ لِمَالِكِهِ عَبْدًا مَطِيعًا.

فَالْفَضَائِلُ فِي دَوْلَتِهِ مَطْلَعَةٌ رُؤُوسُهَا، وَالْآدَابُ طَالِيعَةُ أَقْمَارِهَا وَشُمُوسُهَا، وَالْأَمَالُ الْمَشْتَبَةُ^(٢) لَا تَنَاجِي بِسُوءِ قَصْدٍ مَكَارِمَهُ نُفُوسُهَا. وَالْقَائِلُونَ فِي ظِلِّ عِزِّ سُلْطَانِهِ عَنِ الْحَوَادِثِ مَبْعُدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيْسَهَا. وَوَجِبَ عَلَى مَنْ شَمَلَهُ عَدْلُهُ، وَلَمْ يَقْعُدْ بِهِ أَمَلُهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ مَتْنِ يَنَالُهُ فَضْلُهُ. وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ مِنَ الْبَيَانِ فَضْلًا، وَمُنَحَ مِنْ مَعْرُوفِ اللُّسَانِ حَقًّا صَارَ بِهِ لِلْقَوْلِ أَهْلًا. أَنْ يَخْدُمَ مَقَامَهُ الرَّفِيعَ

سنة ٥٨٩هـ. وحاول انتزاع دمشق من يد أخيه الأفضل مرتين فلم ينجح، ونجح في الثالثة سنة ٥٩٢هـ. والعزيم من النعم ملوك بني أيوب، له علم بالحديث والفقه كانت الرعية تقدره كثيراً ولد وتوفي بالقاهرة.

انظر: ابن الأثير ١٢ : ٥٤؛ حلى القاهرة ١٩٥؛ ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب ٦٩ (رقم ١٣٤)؛ شفاء القلوب ٢٣٥؛ الأعلام ٤ : ٢١٥. وانظر مقدمة التحقيق.

(*) الذي: يريد أن يقول: الذين.

(**) الكلمة مطموسة والباقي منها يشبه: قتاف.

(١) الضرايب ج الضرب: هو من يخرج للغزو.

(٢) المشتبة: البعيدة.

المعظم. ومحله السامي الذي ما زالت القوافي الغر تُعقد بمدائحہ وتنظم. ويمضي ممّا تبلغه قدرته من ذلك بالغايات الشريفة. ويتقرب إليه بما تنتهي إليه قوته منه بالتحف الظريفة اللطيفة. رأى مملوك أيامه أن يتوجّها من عالي اسمه بالثّاج الأعز الأرفع. ويسمها من النسبة إلى خدمته بالسمة التي يحلّها من الشرف ذروة لا تهى^(١) ولا تتضعض، ويجهزها إلى بيت كرمه قرباناً^(٢) يسفر لها في القبول، حُسن التأميل ويشفع.

وهو يرجو أن يصادف - من نظر مولانا - بعين الرضا إليها ما يزلّفها^(٣) لديه ويحظيها، وينطلي على معانيها ومساوئها، إن شاء الله - عز وجل.

وهذا حين الابتداء بما قصد إليه. والله - سبحانه - حسب من يتوكّل عليه، ونعم الوكيل.



مرکز تحقیق تکوین علوم اسلامی

(١) لا تهى: لا تتمزق.

(٢) القربان: الداني القريب.

(٣) يزلّفها: يقربها.

متن المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه أستعين

[الملك الظالم]

حكى أنه كان فيما خلا من الأزمنة السوالف . ملك من بغض
ملوك الطوائف^(١) . قد أعطته الأيام لين قيادها . وأمطته^(٢) وثير
مهادها . وصالحته الأقدار ممتنه على بلوغ مُرادها . وأمذته من
إسعافها وإسعادها بغرائب إمدادها . فاستطال بسعة مُلكه واستعلى .
واستوى على عرش التجبر واستولى . وقهر العباد بالتعظم ، فكاد
يقول : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾^(٣) ودخل في طاعته أرباب الأكاليل

(١) ملوك الطوائف: كان أقصور شاه الأشكاني، أول ملوك الطوائف الذين
حكموا بلاد فارس طيلة ٥١٧ سنة إلى أن ظهر أردشير بن بابك فغلب
عليهم وقتل أردوان الملك، ووضع تاج أردوان على رأسه، وكان قد قتله
مبارزة على شاطئ دجلة. انظر مروج الذهب ١ : ٢٧٦ والإعجاز والإيجاز
٥٦ [طبعة إبراهيم صالح].

(٢) أمطته: مدته.

(٣) تمام الآية: ﴿فحشر فننادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤].

والتيجان^(١). وخضع له مَنْ كان يجاوره من الملوكة ودان. وقذفت له
 المهابة والرعب في القلوب، ففرق^(٢) من سطوته كل قاص ودان.
 وكان مع ذلك قد حُرِم الولد. وقصر به عن بلوغ هذا الغرض وقعد.
 فكان يود بكل جهده، أن يُرزق ولداً يقوم بالملك من بعده. ويحيى
 به ذكره إذا أودع ميتاً في لحده. ويبذل للحكماء على ذلك سني
 المواهب. ويعدهم عليه من الرغائب الغرائب. إلى أن قنع من ذلك
 بأدنى النجاحين. وأضحى رجاؤه وهو من هذا الأمل محصوص
 الجناحين^(٣). فأراد يوماً أن يسخر من خطاياهم. ويسلك معهم من
 المجنون في سبيل سارت به مِنْ الفكر فيه مطاياهم. فواعدهم في يوم
 الحضور بأجمعهم. في موضع من قصره عيّنه لهم. وأن يكنّ على
 أفضل هيئة وتجمل. وأكمل زينة تروق العين عند التأمل. ووعدهم
 على ذلك من الكرامة ما يبعثهم على الاجتهاد. ويمنعهم فيما أراد
 منهم من الاقتصار والاقتصاد. وتواعد من قصرت منهم في زينتها أو
 زيتها. أو تأخرت عن الحضور معتلة بشيء من جلي^(٤) الأعذار أو
 خفيها، باليم الإبعاد^(٥) والأقصا. والمبالغة في العقوبة والاستقصا.
 وأوقع في خواطرهم بالتلويح لا بالتصريح: أن أرباب العلوم. وأولي
 الخبرة بأحكام النجوم^(٥). قد تخيروا له ذلك اليوم. وإنه إن وقع فيه

(١) أرباب الأكاليل والتيجان: هم مجموعة من الملوكة.

(٢) فرق: خاف.

(٣) أي عاري الجناحين.

(٤) الجلي: الواضح.

(٥) في الأصل: الإبعاد.

(٥) أحكام النجوم: يرى فؤاد سزكين أن المنظومات النجومية وجدت طريقها
 إلى التراث العربي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ السابع =

عَلِقَ مِنْهُ بِنَسْلِ كَرِيمٍ. وُولِدَ لَهُ وَلَدٌ بَعْدَمَا خَلَا دَهْرُهُ وَهُوَ عَقِيمٌ.
 فَاسْتَعْدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لِدَلِّكَ بِفَاخِرٍ مَا لَدَيْهَا. وَتَهَيَّأَتْ بِأَكْمَلِ
 زِينَةٍ وَصَلَتْ قُدْرَتُهَا إِلَيْهَا. وَبَرَزْنَ بِأَجْمَعِهِنَّ وَقَدْ فَضَحْنَ الْمَلَابِسَ بِبَاهٍ
 حَسَنِهِنَّ. وَأَزْرَيْنَ^(١) بِالْحَلِيِّ وَالْحُلَلِ بِمَا بَدَأَ مِنْ تَثْنِيَهِنَّ وَدَلَّهِنَّ. تَيَّهًا
 بِجَمَالِهِنَّ مَرَحًا وَاخْتِيَالًا. وَتَزِيدُ نَضْرَتَهُنَّ عَلَى جَوْهَرِ الْحَلِيِّ جَوْهَرِيَّةً
 وَصَفَالًا^(٢) [الوافر]:

لَبَسْنَ الْوُشْيَ لَا مَتَجَمَلَاتٍ وَلَكِنْ كِي يَصْنُ بِهِ الْجَمَالَا
 وَضَفَّرْنَ^(٣) الْغَدَائِرَ لَا لِحَسَنِ وَلَكِنْ خَفْنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَا^(٤)
 فَلَمَّا حَضَرْنَ لِمِيقَاتِ الْمَلِكِ وَمَوْعَدِهِ. وَمَثَلْنَ بِمَحْضَرِهِ وَمَشْهَدِهِ.
 أَظْهَرَ لَهُنَّ مَا كَانَ أَبْطَنَهُ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ بِهِنَّ وَالتَّلْعَابِ. وَقَالَ:
 لَقَدْ عَمَّنِي نَعْبٌ كُلُّ مَنْكَرٍ بِتَهِيئَةٍ مَا تَحْتَ الثِّيَابِ حَتَّى [الوافر]:
 أَتَتْ بِجَرَابِهَا تَكْنَالُ فِيهِ فَرَاخَتْ وَهِيَ فَارِغَةُ الْجِرَابِ^(٥)

= الميلاي. وأقدم رسالة نعرفها هي التي تحمل اسم وهب بن منبه
 (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، تاريخ التراث العربي، مج ٧: ٩. وانظر فرج المصموم
 في تاريخ علم النجوم لابن طاورس (ت ٦٦٤هـ)، ط. النجف، ١٣٢٨هـ.

مركزية كويتية علوم

- (١) أزرين: عين.
- (٢) الصفال ج. الصيقل، ويقال صفله فهو مصقول: جلاء.
- (٣) في الأصل: وظفَّرن خطأ والضَّفَر: قتل الشعر. الغدائر: الذوائب.
- (٤) البيتان للمعتني في الحماسة المغربية ١٠٨٢ (رقم ٦٧٨)، وشرح الواحدي للديوان ٢١٦. وهما من قصيدة للمعتني مطلعها:
 بقائي شاء ليس هم ارتحالا وتحسن الصبر زئوا لا الجمالا
- (٥) البيت لأبي نواس من مقطوعة في سبعة أبيات، ديوانه ٥: ١٠٢ (رقم ١١٩) الطبعة الألمانية؛ ولأبي حكيمة في ديوانه ٧٢. وانظر الشذكرة الحموتية ٦: ٢٣١ (رقم ٥٩٨).

فتصاحكن على ذلك فيما بينهما خجلاً. وتمازحن على ما كان
 منهن من العناء الفارغ حتى سمعت لأصواتهن رجلاً. وقلن له بلفظ
 واحد: لا تلمنا فإننا ظنناك رجلاً. فقصر به في ردّ الجواب وانقطع.
 واصفرّ لونه حياءً وامتقع. وكانت منهن واحدة قد تأخرت عن
 الحضور. وأقدمت على الاختلال بهذا المأمور، فلم ينكر عليها
 مخالفة الأمر. ولا أخذت من تحقيق الوعيد بما تقتضيه حكمة الزجر.

[الوصيفة الذكية]

فخلاً بالملك إحداهن وكانت وصيفة^(١) خصيفة وأديبة أريية.
 قد رُزقت في أضلّ الفطرة ذهناً ثاقباً. وأوتيت من الرأي الصواب^(*)
 سهماً صائباً. فقالت له:

إني أخشى - أيها الملك - أن يكون هذا الخُلُق منك طبعاً.
 وهذا الفعل سَجِيَّةٌ فيجلب إليك ضرراً ويصدّ عنك نفعاً. فتفعل في
 عبيد مملكتك ورعايا دولتك ما فعلت مع حَفَظَايَاك فيكون ذلك سَبَباً
 لزوال مُلْكِكَ وبواره^(٢). وسبيلاً إلى انهدام مجديك ودماره. فقال لها:
 وكيف ذلك؟

[الملك والهزل]

قالت إن من عادة الملوك الفضلاء، وذوي السلطنة النبلاء، أن لا

(١) الوصيفة: الخادمة.

(*) الصواب: هذه الكلمة وضعها الناسخ في السطر اللاحق بعد أن نسي إثباتها في
 موضعها.

(٢) البوار: الكساد والخسارة.

يهزلوا في أمرٍ ولا نهى، كما هَزَلْتُ معنا. ولا يلعبوا بذلك كما لعبت به وبنا. فإن ذلك يَحْطُ من أقدارِ الملوكِ عند رَعَايَاهُمْ. ويطرُق التهاون إلى امتثال أوامرهم وقضاياهم. لأن المأمور أو المنهي ربما حمل ذلك في وقت الجد على عادة الهزل. فوقع بذلك الخلل الذي لا يَسْتَدْرِكُهُ الرَّأْيُ الْجَزَلُ. ثم إنك - أيها الملك - تواعدت^(١) من تَخَلَّفْتُ بنا بوبيل النكال^(٢). ووَعَدْتَ من بادرت بجزيل الثَّوَالِ. فلا أنت وفيت للمُحْسِنِ من الجزاء بموعوده. ولا أنت ألحقت بالمُسيءِ ما تواعدته به من العقاب على إساءته في مقصوده. والملوك إذا لم يحققوا الوعدَ والوعيد سَقَطَ من القلوب وقعُ هَيْبَتِهِمْ. ولم تَسْكُنِ الثُّفُوسُ عند الإحسان إلى حُسْنِ مَثُوبَتِهِمْ. ولم تخفِ عند الإساءة من سوء عقوبتِهِمْ. بل من عادة الملوك الأفاضل أن لا يُخْلَفُوا وَعْدًا وَلَا وَعِيدًا^(٣). ولا يَأْلُوا في ذلك تغليظًا ولا تشديدًا.

فأصحبَ الملكُ ذلك من كلامها واستحسنه. وتَدَبَّرَهُ بِصَافِي فِكْرِهِ وَتَبَيَّنَهُ. فعلم أنه القولُ الصَّادِقُ. وتحقق أنه الرَّأْيُ الْحَقُّ. واسترجعها واستنصحها وقَدَّمَهَا وَحَكَّمَهَا لِمَا اسْتَفْصَحَهَا^(*). وفَوَّضَ إِلَيْهَا النَّظَرَ فِي أَمْرِ قَضَائِهِ وَمَنْ فِيهِ. وأطلقَ يَدَ نَصْرِفِهَا فِي خَزَائِنِ مُلْكِهِ وَمَا تَحْوِيهِ. وقد كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَائِلًا إِلَى غَيْرِهَا، وَكَلَفًا بِحُبِّهَا، مشغول القلب بها، لما كانت تُظْهِرُهُ لَهُ مِنْ كَلْفِهَا بِهِ وَاشْتَغَالِ قَلْبِهَا. فلما بلغها تقديم الملك لهذه التي قَدَّمَهَا، وَثَبَّتَتْ أَنَّهَا أَوَّلُ مَنْ عَلَيْهِ

(١) تواعدت: تهددت.

(٢) وبيل النكال: شدة العقاب.

(٣) راجع فقرة الخصال التي أُنْتُهِيَ الْمُؤَلَّفُ فِي مُقَدِّمَتِهِ، ص ٤٩.

(*) وضع الناسخ هذه الكلمة إلى يسار الورقة. والمقصود أنه وجدها فصيحة.

ولأفها وحكمها. أنفت من الدخول تحت ولايتها. وعز عليها أن تكون رعية لمن كانت تجري عليه أحكام رعايتها. فازورت^(١) عن الملك ونأت بجانبها. وأعرضت عن حسن عاداتها معه في الخلوة وجميل مذاهبها. فساء ما رأى من انقباضها. وكبر عليه ما بدا من تجبها وإعراضها. ولم تسمح نفسه بفراقها. ولا قدر على مغاضاة بواعث أشواقها. فاستعطفها واسترضاهما، وسرها بجميع مجابها^(٢) وأرضاهما. وأعادها إلى محل تكرمتها. وردّها إلى كر[...]^(*) تقدمها. فلما بلغ تلك الحظية العاقلة ما فعله الملك مع ضرّتها. وإحراجها لها من حكم أقضيتها. قامت حتى دخلت عليه وقالت لا شك أنه قد ثبت عند الملك أنني أوفى من فلانة عقلاً. وأوفر كمالاً وفضلاً. قال إنه لكذلك. فما هذا الذي قد بدا لك؟ قالت: فلم صرّفتني عما كنت وليتني. وارتجعت مني ما كنت أوليتني. ونسيت لي طول انتصابي في خدمتك ودأبي. وإفراط تعبي في طاعتك ونصبي. ومكابدتي في القيام بما فوضته إليّ لظمائي وجوعي. ومواصلي لسهري وهجري لهجوعي؟ ثم بعد ذلك أنشدت وقالت^(٣) [الطويل]:

تبدلت بي من ليس يحنو ضلوعه على مثل ما تحنو عليه ضلوعي
وليس ذلك لعدم كفايتي ووجود غناها. بل لميلك إليها وطاعتك
لهواها. فإن كان هذا فعلك في أمر مملكتك في توليه من توليه من الولاة

(١) ازورت: ابتعدت.

(٢) مجابها: طلباتها.

(*) بقية كر. . غير واضحة في المخطوطة.

(٣) لم أجد البيت في مصادر.

للهوى والعناية . لا لفضيلتي : الأمانة والكفاية ، فأخلق بملكك أن يرى
وهو مفصوم العرى . وبعزك الفسيح الذرى أن تكون منه منبوءاً بالقرأ .

[اعتماد الكفاة]

وانما يجب على المَلِك أن يعتمد مِنْ ولاته على كفاته . ومن
جُباته على إقائه . ومن قُضاته على هُدايته . ومن وُزرائه على مَنْ يفترون
الصواب بآرائه . وإذا قد ملت - أيها الملك - إلى هذه ، ولم تقدر على
أن تكون مِنْ رِقِّ هواها خُراً . ولا استطعت^(١) على مخالفتها صبراً .
ولا على أن تعصي له أمراً . فاقصر بها على المَحَبَّة القاصرة ، ولا
تجعل لها حُكماً متعدياً . فيكون ذلك إلى الاختلال والفساد مؤدياً .
فإن الجاهل بسوء تدييره . ما يكون فيه ضرر نفسه ، وضرر غيره .
وهو يظن أنه قد أخذ بمجامع الصواب . وأتى الفلاح من كل باب .
وفي المواقب تَظهرُ له آثار فعله . وفي الأواخر يبدو له ما استتر عنه
في الأوائل من جهله . وقد قيل^(٢) [الهج]:

فلا تصحب أخا الجهل وإيّاك وإيّاها
فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو مما شاه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه^(٣)

(١) استطعت: لغة في استطعت .

(٢) القطعة لعلي بن أبي طالب رواها ابن عساكر عن الشعبي في مختصر تاريخ
دمشق، ج ١٨، ص ٧٨؛ آداب الصحبة والمعاشرة، ٢١٣ [مع بيتهين
إضافيين وبلا نسبة في الظرف والظرفاء (الموشى) ٥٨ (رقم ٣٦)]؛ هيون
الأخبار ٣: ٧٩ .

(٣) رواية ابن عساكر:

وللشيء على القلب دليل حين يلقاه .

فلم تشنه هذه المواعظ في تقديمها عن غيره . ولا ردتها هذه النصائح عن استداعة رئاستها ، ولا قدرت على ليه^(١) . بل أصر على ما زينت له في أمرها النفس الأتارة . واستمر على طاعتها معرضاً عما يُشير به العقل من مصالح الولاية والإمارة . وأقامت هذه الحظية على ملازمة التنبيه له في كل وقت برقيق لفظها ، وداومت على مواظبة التذكير له والتحذير برقيق وعظها . فلما أكثرت عليه ، غَضِبَ غضباً شديداً . وهم بأن يرهقها من عذابه صموداً . فلم يرعها ذلك ولا أفرقها^(٢) . ولا صدّها عن النصيحة التي قد أنار العقل لها طرفها . بل قالت له : أيها الملك إن الأفاضل من الملوك إنما يعاقبون للذنوب لا للغضب^(٣) . وإذا عاقبوا لم يتجاوزوا بالمجرم حدّ الأدب . واني لم آت جُرمًا ولا اقترفتُ ذنباً . ولا قلتُ ما قلت إلا نصيحة^(*) لك أيها الملك وحباً . ومن لم يكظم غيظه^(٤) ندم . وقل من صبر على حرارة جَمرة الغضب في أوائلها إلا نجا من إحراقها المهلك وسلم . ولم يزل الغضب أبداً حاملاً على العار والمضيحة . ومغطياً على الفكرة السليمة والرؤية الصحيحة . وها أنا أذكر لك بعض آثاره الشنيعة القبيحة . وأضرب لك في ذلك مثلاً ، فإن الأمثال رباض العقول الفسيحة .

[الدجاجة والقط]

ذكر أن بعض البخلاء انتهى يوماً دجاجة فائقة على صفة

(١) ليه : التغلب عليه .

(٢) أفرقها : أفرصها .

(٣) راجع فقرة الخصال التي أثبتها المؤلف في مقدمته للكتاب ، ص ٤٩ .

(*) كلمة نصيحة غير معجمة في الأصل .

(٤) كظم غيظه : رده وحبسه .

مخصوصة. فلم يزل ينازع نفسه ويكثر عذْلها ونصحها. ويرونها بأنواع جيل الرياضات حتى أجابت إلى ذلك ووفت [.....]. فعملت له على الصفة التي أثرها. وقدمت إليه وقد حضر وقت الصلاة فقام إليها وبادرها. وتقدم إلى خادم أمين كان له بأن يحرسها إلى حين فراغه ويحفظها. ويوكل بها ناظره فلا يصرفه (*) عن أن يراقبها ويلحظها. واتفق حضور عظيم من القِطاط^(١). ممّا وقع منها من شدة الخلقة وفرط السبعة في جانب الإفراط. فاختطف الدجاجة بسرعة أعجزت الخادم عن لحاقه. واستبقى الباب فيدّ الخادم^(٢) بسيفه لشدة حرصه على السرعة في إياقه^(٣). وتبعه الخادم مسرعاً فتعلق بأعالي الجدران. ومز كالشهاب الثاقب حتى تجاوز أسطحه أدر الجيران^(٤). وفرغ البخيل من صلاته. وقد علم بالأمر بعد فواته (**). فامتلا على الخادم غيظاً وحنقاً. وجرد سيفاً كان يدخره للمهمات، فحذفه به^(٥) فقتله. وصادف في ممّره خجراً فطار لجودة فولاده شقّقاً. فعدّم المسكينُ السيف الثمين. والخادم الناصح الأمين. وفارق في جميع ذلك العقل والدين. ولم يكن هناك سبب إلا إجابته لداعي حنقه وغضبه وقلة حاصله من الرياضة حتى تمكن منه كلب غيظه بشدة كلبه. والحديث شجون، وربّ جدّ جزءه مجنون.

(*) يصرفه: تلاشى في الأصل جزء من حروف الكلمة.

(١) القِطاط: جمع قط: كان القِططي هاوياً للسنانير (القطط) وقد روى لياقوت أنه جلب سنوراً أصبهاً إلى ققط، مسقط رأسه [معجم الأدباء، ص ٢٠٢٣].

(٢) يدّ الخادم: غلبه.

(٣) الإياقة: السرقة.

(٤) أدر الجيران: دور الجيران.

(**) في الأصل: وفاته وصحح الناسخ الكلمة ووضعها في الهامش.

(٥) حذفه: رماه.

[هرة الجوهري]

يحكى أن الشيخ أبا الفضل بن الجوهري^(١) الواعظ بمصر - رحمه الله - وكان من أعيان أهل الصلاح . وممن إذا ارتجت في وجه الدعاء أبواب الإجابة . كان دعاءه هو المفتاح . كانت هرة مؤذبة . لم تتعود قط العَبَث بشيء من الطعام . ولا تقربه^(*) ولا عُرف مذ عُرفت بخطف ولا اصطلام .

فلما كان في بعض الأيام قُذمت إلى الشيخ دجاجة في جُملة ما كان وقع به الاهتمام . فبينما هو في أثناء الأكل مع الجماعة إذ وثبت القطة فاختطفت الدجاجة من بين يديه . ومزت كالسهم لا تلوي على صارخ ولا تعرج عليه . فأمر الشيخ بعض أصحابه بالكشف عن حالها . والبحث عن السبب الذي قضى لها بمخالفة عاداتها . فكشف عنها فالفأها قد وَلدت . وصارت كاسبة لغيرها ، فأوردتها الضرورة حيث وَرَدَتْ . فلما علم الشيخ بذلك قال : لا إله إلا الله ذي الجلال والإكرام . كثرت عائلتها المسكينة فأكلت الحرام . وهذه إشارة صوفية^(٢) . فيها تدبّر لذوي العقول الوفية .

[نصائح للملك]

ثم قالت تلك الحظية للملك فلا يحملك الغضب - أيها الملك -

(١) أبو الفضل بن الجوهري (عبد الله بن الحسين بن بشرى) أبو النهدي الواعظ ، مات سنة ٤٣٨ هـ . انظر : المعقضي للمقريزي ١ ج ٤ ، ص ٣٩٣ . ثم قارن ج ١ ، ص ٥١٦ .

(*) لا تقربه : وضعها الناسخ في سطر آخر .

(٢) عن الإشارة الصوفية انظر : لسان العرب (مادة : حرم) ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ٢٣٠ - ٢٣١ (ط . القاهرة) .

على أن تعجل فتخجل ، وتقدم فتندم على أمر قبل التفكير^(*) . فسكن غضبه وترضاها . ثم قالت له : أيها الملك إن الرئيس لا يجب أن يكون تأديبه بمقتضى الغضب ، بل بمقتضى العقل . وأن يتثبت ريثما تنجلي عنه تلك الغمرة فيكون عمله حينئذ بموجب الإنصاف والعدل . فقال لها الملك : أيتها القرينة الصالحة والمشيرة الناصحة . زيديني من فوائدك النافعة . التي هي لمحاسن الآداب جامعة . فلقد أخذت بمجامع قلبي . وملكك علي ذهني ولبي . قالت : نعم أيها الملك - زادك الله للخير قبولاً . ولا زال سبب التوفيق بسبك موصولاً :

[شروط المحبة]

إنه يجب على الملك الحازم أن يودع قلوب الرعية المحبة من غير جُرأة ولا استطراف مراح^(١) . وشدة الرهبة من غير ضغينة ، بل^(**) بصفاء للقسوة مزاح^(٢) . فقال لها الملك : أتى ذلك وهل إليه من سبيل لا يشق على السالك؟

[الملك والحاجب]

قالت نعم بإيداع القلوب ودائع الإحسان . واتخاذها للبر خزائن

(*) الكلمات هذه وضعها الناسخ في الحاشية وسقط حرف الراء من كلمة : التفكير .

(١) مراح هنا : اختيال ويطر .

(**) بدءاً من هذه الكلمة حتى كلمة " مزاح " ألبتها الناسخ في الحاشية .

(٢) انظر هذه الخصال حينما وردت آنفاً في مقدمة المؤلف ، ص ٤٩ . وأضف :

آداب الملوك للشعالبي ٨٣ (رقم ٢٠٧) . وفي هامشه عدة مصادر لنفس الكلمات مع خلافات جزئية للنص .

لا تنقي عليها خيانة الخزان. فقد حكى أن بعض الخلفاء^(١) قال يوماً لحاجبه: ارفع إلينا حوائجك فقد خففت حتى ثقلت. وقللت حتى^(*) كثرت. فقال: والله! ما أستنزر فضلك، ولا أستصغر برك، ولا أستقصر عمرك ولا أغتنم مالك وبرك. وإن عندي في تأملي إياك لأفضل من يومي فيما قد نلت من سعة فضلك. ولكن هذا عبدك ولدي فلان أوتر أن تُقرّبه وتحبوه^(٢) وتحبه. فقال: أما الحباء والتقريب فقد يوجد السبيل إليهما. وأما المحبة فليست بمال يُوهب ولا بمزية تُبذل. وإنما يُوجبها أسباب وتؤكدُها أحوال.

فقال: اجعل له إلى ذلك طريقاً بالتفضل عليه. فإنك إذا أحسنت إليه أحبك، فإذا أحبك أحبته.

فقال: أما التقريب فقد أذنت لك في استنابته عنك في الحُجبة، وأما الحباء فقد وصلت به كذا وكذا، ولم أصل به أحد إلا عمومتي. ولكن كيف سألت له المحبة من بين سائر الأمور وقرنتها بالحباء والتقريب؟

قال: لأنها مفتاح كل خير، ومغلاق كل شر. تستتر بها عنك عيوبه. وتصير بها حسنات ذنوبه.

قال لها الملك - أي للحظية^(**) - إن ذلك يفتقر إلى حُسن تلطف في استدعاء هذا المطلوب. ولطيف توصل في تحصيل مودات القلوب فهل تعرفين في ذلك مثلاً مضروباً. ففعلاً صار به

(١) بعض الخلفاء: المقصود هنا المأمون عبد الله بن هارون الرشيد.

(*) كلمة 'حتى' ليست معجمة في الأصل.

(٢) الحباء: المعطاء بلا جزاء ولا من.

(**) أثبت الناسخ الكلمتين في الحاشية.

صاحبه إلى القلوب مودوداً محبوباً؟
قالت: سأضربُ لك في ذلك مثلاً يكون عليه قياسك. وبأنواره
في ظلم الشكوك استبصارك. وفي وحشتها استيناسك:

[هدايا النوروز]

حُكي أنه أُهدي إلى بعض الملوك في يوم نوروز^(١) هدايا
جَليلة. وحُمِلَ إليه طُرفٌ فاخرة، نبيلة. فتقدم إلى جواريه، ومن
حضر من سراريه بأن تأخذ كل واحدةٍ منهم من ذلك ما حلي بقلبيها
وانصبت إليه مادة خبأها فتناولت كل واحدةٍ ما أرادت وأربت على
مقصود الأمر وزادت. وبقيت منهم واحدة لم تسف^(٢) إلى مطلوب.
ولا ظهرَ عليها أن شيئاً من ذلك بأسره عندها محبوب.

فقال لها الملك: ما لي أراك من موافقة صواحبك متقطعة.
وعن مشاركتهم فيما أفدته من هذه الطرائف الفاخرة ممتنعة؟

قالت: ألسنتُ القائل - أيها الملك - لتأخذ كل منكن ما
أحبّت؟ قال: بلى. قالت: فإني لا أحب سواك! وليس لي هوى إلا
هواك! أفأذن لي في أخذك والمصير بك إلى حُجرتي^(٣). فإنك غاية

(١) نوروز (نيروز): من أعظم أعياد الفرس: أول من اتخذ جمشيد، أحد ملوكهم
الأوائل. وسببه أنه لما هلك ظهر مروت ملك بعده جمشيد، فسُمي اليوم الذي
ملك فيه "نوروز" أي اليوم الجديد. ومدته ستة أيام ويحتفل به الأكراد اليوم
أيضاً. للتفاصيل انظر: النشوار ١/٥٧: الفرج بعد الشدة ٨: ٢٤٦؛ وكتاب
النيروز لابن فارس (ضمن نوادر المخطوطات للشيخ عبد السلام هارون،
ط ٢، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م)؛ آداب الملوك لابن رزين، ١٢٧.

(٢) لم تسف: لم تصل.

(٣) ثمة حكايات مشابهة لحكاية القبطي رُويت عن محمد الأمين وهارون=

سُولِي وَمَنِينِي؟ فَوَقَعَ كَلَامُهَا فِي قَلْبِهِ مَوْقِعاً لَطِيفاً، وَحَلَّ مِنْ خَاطِرِهِ مَحَلّاً شَرِيفاً. فَأَمَرَ بِحَمْلِ كُلِّ مَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا. وَقَطَعَ نَوْرُوزَهُ مُنْقَطِعاً إِلَيْهَا.

قَالَ الْمَلِكُ: لَقَدْ تَلَطَّفْتَ هَذِهِ الْحَظِيَّةَ فِيمَا أَحْظَاهَا عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَكْنَاهَا وَجَمَلَهَا فِي عَيْنِ خَاطِرِهِ وَزَيْنِهَا. فزَيْدِيْنِي مِنْ ذَلِكَ!
قَالَتْ: نَعَمْ أَعَزَّ اللَّهُ الْمَلِكُ:

[حِيلَةُ حَظِيَّةٍ]

حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ كَانَ بِبَعْضِ حَظَايَاهُ صَبّاً، وَإِلَى رِضَاهَا مَائِلاً، وَفِي هَوَاهَا مَنْصَباً. فَحَسَدَتْهَا بَقِيَّةُ رَفَقَائِهَا. وَتَحَيَّلْنَ فِي إِسْقَاطِهَا مِنْ نَفْسِ الْمَلِكِ وَالْقَابِهَا^(*). فَوَجَدَ عَلَيْهَا بَعْدَ وَجْدِهِ بِهَا، وَمَالَ عَنْهَا بَعْدَ مِيلِهِ إِلَيْهَا. وَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ إِلَى بَعْضِ مَنَازِلِهِ. وَمَوَاطِنَ خُلْبِهِ وَرَاحَاتِهِ. وَلَمْ يَسْتَصْحِبْهَا مَعَهُ فِيمَنْ اسْتَصْحَبَ. وَلَا نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْمُحِبِّ الْمُغْضِبِ. فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهَا وَعَظُمَ. وَأَخَذَهَا مِنْهُ مَا حَدَّثَ وَمَا قَدَّمَ. وَعَمِلَتْ لَوَقْتِهَا أَيْبَاتاً تَرْقُقُهُ فِيهَا وَتَتَلَطَّفُهُ وَتَسْتَمِيلُهُ إِلَى حَسَنِ عَادَاتِهِ مَعَهَا وَتَسْتَعِظْفُهُ وَهِيَ^(١) [الْكَامِلُ]:

= الرُّشِيدَ وَالْمُتَوَكِّلَ تَجِدُهَا فِي سَبِيلِ هَوَاهُ الْخُلَفَاءِ، وَكَذَلِكَ تَجِدُهَا فِي الْفِ
لِيلَةِ وَلِيلَةٍ.

(*) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَالصُّوَابُ: وَاللِّقَاءُ بِهَا.

(١) الْقِطْعَةُ لِأَحْمَدَ بْنِ يُوْسُفَ الْكَاتِبِ فِي شَعْرِهِ بِرَوَايَةِ الصُّوَالِي: أَخْيَارُ الشُّمَرَاءِ
الْمُحَدَّثِينَ ٢٠٨. وَهِيَ بِاسْتِثْنَاءِ الثَّالِثِ فِي كِتَابِ بَغْدَادَ، ١٣٠. وَانْظُرْهَا فِي
الْأَغَانِي ٢٢: ٥٦٤.

قد كان عتبك مرةً مكتوماً فالיום أصبح ظاهراً معلوماً
نال الأعداي سؤلهم ومناهم لما رأونا ظاعناً ومقيماً
والله لو أبصرتني لرحمتني والدمع يجري كالجُمان سُجوماً
هَبْنِي أَسَاثُ فَعَادَةُ لَكَ أَنْ تُرَى يَا سَيِّدِي: مَنْطُولاً مَظْلُوماً؟
ثم أحضرت بعض المغنين الذين من عادتهم حضور مجالس
أنسه. وألقته عليه وأمرته أن يغنيه به عندما يرى السرور وقد نشط من
نفسه. فامتثل أمرها بالسمع والطاعة. وتوَحَّى لها بحسن الارتياح تلك
الساعة. فلما غناه به هام عند سماعه طرباً. واتخذ سبيله في بحر
بدائعهِ حَجَباً. ثم سأل عن "أبي عذرتهِ" ^(١) وإلى من يُعزى صحيح
نسبته ^(٢). فلما علم بالقصة قام من فورهِ إليها. وألقى نفسه مبادراً
عليها. وعاد بها إلى أحسن أحوالها عنده. وأعاد إليها من محبته
ورضاه ما كان خيراً لها ممَّا يعنه. فليكن الملك - أعزه الله - على
خُلر من حالة ^(*) يصير العقل فيها بمشابة الأسير المَقهور. ويعود ضياءُ
البصيرة وقد غشيه من الظلمة ما سلبه ضياءُ النور. فإن أكثر الدخائل
إنما دخلت على الملوك في أوقات خُلوتهم. وأعظم الآفات إنما
طرقتهم في الأوقات التي كانوا فيها أسراء شهوتهم. فعند ذلك يجد
الخائل سبيلاً إلى استذلاله. والمشير بالرأي المودي طريقاً، إلى إلقاء
ما زخرفه من باطل قوله. فيكون كلامه المنمَّق ^(٣) في تلك الحال

(١) أبو عذرتهِ: المقصود هنا: الملحن، والكناية ترد عند الثعالبي في ثمار
القلوب (ط، إبراهيم صالح، ص ٣٩٧).

(٢) نسبته: نسبة الصوت الغنائي.

(*) الكلمة متلاشية في الأصل.

(٣) المنمَّق: المعول بلغة اليوم.

بمِثَابَةِ الْعَسَلِ الْمَمْزُوجِ بِالسَّمِّ يَسْتَلْذِهُ ذَائِقُهُ . وَتَحُلُّ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ
بَوَائِقُهُ^(١) .

وَأَمَّا النَّاصِحُ فِي الْإِشْفَاقِ ، فَإِنْ كَلَامُهُ يَجْرِي مَجْرَى التَّرْيَاقِ^(٢) .
فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيهَ الْمَذَاقِ ، فَإِنَّ مَتَنَاوُلَهُ سَرِيعَ الْإِفْرَاقِ .

[مَكْرُ النِّسَاءِ]

قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ أَخْبَرْتَنِي عَنْ هَاتَيْنِ الْحَظِيثَتَيْنِ بِمَا أَعْجَبَنِي ،
وَاسْتَحْفَنِي حَتَّى أَطْرَبَنِي . فَهَلْ تَعْرِفِينَ مِنْ تَلَطُّفَاتِ النِّسَاءِ وَمَكْرِهِنَّ . مَا
قَصْدُنَ بِهِ بَلُوغَ الْغَرَضِ فَعَادَ عَلَيْهِنَّ بِنَقِيضِ قَصْدِهِنَّ ؟

[حِيلَةُ مَجْنُونٍ]

قَالَتْ : نَعَمْ أَيْدِ اللَّهِ الْمَلِكُ ، يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْمَجَانِينِ كَانَ
يَحْضُرُ مَجْلِسَ بَعْضِ السُّلَاطِينِ لِيَضْحَكَ مِنْ مَجُونِهِ . وَیُسْتَظْرَفُ مَا
يَنْدِرُ مِنَ الْفَاطِظَةِ وَنَوَادِرِهِ فِي حَالِ جُنُونِهِ . فَخُلِعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ يَوْمًا
دَوَاجِأ^(٣) مِنْ مَلَابِسِهِ لَهُ قِيَمَةٌ جَلِيلَةٌ . فَمَرَّ عَلَى دَارِ بَعْضِ الْفَوَاجِرِ
فَارَادَتْ أَخْذَهُ مِنْهُ بِمَا ظَنَّتْ أَنَّهَا قَدْ أَبْرَمَتْ مِنْ حِيلَةٍ . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ

(١) بَوَائِقُ ج . بَائِقَةٌ ، وَهِيَ الدَّاعِيَةُ .

(٢) التَّرْيَاقُ : قِيلَ وَزَنَهُ فِعْيَالٌ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَهُوَ رُومِيٌّ مَعْرَبٌ ، وَقِيلَ مَاخُودٌ مِنْ
رَبِيقِ الْحَيَاتِ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ عَرَبِيًّا . انْظُرْ : شِفَاءُ الْغُلِيلِ ، ١٠٤ ؛
الْحِكْمَةُ الْخَالِدَةُ ، ١١٠ . وَمِنْ أَمْثَالِ عَوَامِ اللَّبَنَانِيِّينَ : «لَمَّا يَجِي التَّرْيَاقُ مِنَ
الْعِرَاقِ يَكُونُ الْمَلْسُوعُ فَارِقًا» ١٢

(٣) الدَوَاجِجُ : فَارِسِيَّةٌ بِمَعْنَى اللَّحَافِ ، وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْقِمَاشِ تَتَّخِذُ غِطَاءً لِلرَّأْسِ ،
وَقَدْ تَتَّخِذُ غِطَاءً لِلْهَدَنِ بَدَلًا مِنَ اللَّحَافِ . انْظُرْ : الْفَرْجُ بَعْدَ الشُّفَةِ ٤ : ٨١ .

جاريته وقالت لها قولي له: هل لك في منزل بهي وطعام شهي
وكأسٍ ونديم ومقام كريم، وريحان وجثة نعيم؟
فقال لها قد وصفت ما يحلُّ عقد العزائم ويبعث الهمم الرماث
[الطويل]:

وهل تستأمر في بلوغ أمنيته النفس

وأنى يفرّ الكلب من ساحة العرس؟^(١)

فلما دخل المجنون رأى ما استقصر في جنبه الصفة. واستقبلته
سيدتها كالبانة المتأودة، المتعطفة. فلما رآته كشفت عن ساقبيها،
وحلّت له نطاقيها^(٢)، وألقت ذلك الدواج عن ظهره. وأمرت الجارية
بتغيبه عنه وستره. ثم جعلت ثغرها فوق ثغره، وصدرها تحت
صدره، فلا تسل بعد ذلك عما كان من أمرها وأمره! ثم أجلا^(٣)،
وقد نال ما أنساه دواجه وألهاه عن نفسه. وذاق منها ما ليس يقلّعه
أبو الحسين القلاع^(٤) من ضرره. ثم إنها أطعمته وسقته. وأطعمته
في الخود إلى مثل حاله الأول وسوقته^(٥). فلما هم بذلك أمرت
الجارية بإخراجه. والحيلولة بينه وبين دواجه. فلم يستطع عن نفسه
مئماً ولا دفعاً. وعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون، من هو
أشدُّ منه قوة وأكثر جمعاً.

(١) لم أعثر عليه في مصادري.

(٢) النطاق: كل ما يُشدّ حول الوسط.

(٣) أجلى: نزل.

(٤) أبو الحسين القلاع: لم أعثر له على ترجمة، لعله كان معاصراً للمؤلف أي

عاش في القرن السادس للهجرة.

(٥) سوقته: ماطته.

فلما صار خارج الباب استسقى الجارية ماء. فأتته بكوز^(١) فشرب ثم ألقاه فكسره. وجلس يبكي ويتعجب. وصادف ذلك مجيء زوجها من دكانه، فلما رآه على تلك الصورة سألته عن قصته واستخبره عن شأنه. فقال له - والجارية تسمع، والسيدة أيضاً بمرأى منهما ومسمع -: إني كنت من دار الملك منصرفاً، وقد خلعت عليّ خِلعةً كساني بها فخراً وشرفاً. فأدركني عند وصولي إلى هذا الموضع عطش شديد لشدة هذا القيظ، فاستسقيت من هذه الدار ماء، فأخرج إليّ كوز. فلما تناولته سقط من يدي فانكسر. فكاد أهلها يتميزون من القيظ. ثم إنهم سحبوني إلى بابهم وأوجعوني ضرباً. ونزعوا عني خِلعة الملك ظُلماً وغصباً.

فقالت له الجارية: يا خبيث! أهكذا كان الحديث؟!

فقال: أما أنا فقد حدثته على قُدر عقلي الناقص المحائر.

فحدثته أنت بعقلك الكامل الوافر.

فأنكر الزوج على امرأته فعلها. وردّ عليه دواجه فانصرف. وقد تمت حيلة مثله على مثله^(٢).

قال لها الملك: لقد أحسن هذا المجنون في تَلطُّفه. وأجاذ في

(١) الكوز: إناء من الفخار يشبه الإبريق، إلا أنه من دون البلبلة أي القناة الصغيرة التي يصب منها الماء. وهو شائع الاستعمال في العديد من الأقطار العربية، وفي العراق توجد عدة أسر تحمل لقب الكواز نسبة إلى صناعة الفخار.

(٢) ترد هذه القصة في العديد من كُتُب التراث العربي منسوبة إلى مجانين وغيرهم، وقد وردت منسوبة إلى بهلول بن عمرو وحمدونة المغنية (تعقبة المروسي، ٤٤٥). وانظر حكاية مشابهة على لسان الفرزدق في أخبار الأذكى لابن الجوزي، ١١٢.

استنباطه وجه الحيلة وتصرفه. فعودي بنا إلى أحسن ما بلغك من استمالة الحظايا لقلوب الملوك. فإن في ذلك من جواهر الحكم ما يُزري بنظم السلوك.

قالت: نعم - أعز الله - الملك:

[الملك الماجن]

ذكر أنه كان ملك من عظماء ملوك زمانه. قد أعلت الأقدار من شأنه. ومكنت له في سعة سلطانه. فاشتغل بلدته عما ينهيه إليه وزيره^(١) من أحوال مملكته. واستهتر بصحبة قوم بميلون معه في أهوائه. ويحسنون عنده ما يصدر عنه من آرائه. وإنما قصدهم تمكين مكانهم من قلبه. واستدعاء محبته بالموافقة له على ما هو كلف بحبه. والنفس أبدأ تميل إلى الرخص. وتكره ما في عزائم الحق من تجرع الغصص. فإن أهمه أمر مما يقدح^(٢) في الملك لم يكونوا فيه من أهل الغناء. أو حربة مكروه يعود بالخلل على الدولة لم يلق عندهم ما يستدفع به من صواب الآراء. فهم كل على كاهل الملك ثقيل. وسبب من أسباب الويال يظهر أثره عما قليل.

[العقل والهوى]

وقد قالت الحكماء: إنما صار الهوى أبرّ عندنا من العقل، لأنه يُخلق معنا. وإنما يكمل العقل فينا بعد مدة، فالرجوع إليه إنما يكون بمزاولة العنا. فنحن نألف الهوى لإقدام الصحبة، ونأنس به لطول المدة.

(١) انظر تعريف الوزير، ص ١٠٧.

(٢) يقدح: يطمع.

والتمييز بين ما يبعث الهوى على متابعته وبين ما يحضّ العقل على موافقته، غامض لا يدركه إلا من أنعم النظر وأدام الشّهر، وأطال الفكر. ولذلك احتيج إلى المشورة. فإنّ المستشار سليم من الهوى. بعيد من الغرض الذي يمنع صاحبه من العمل بإيثار النّهي. وقد قيل^(١):

وأفة العقل الهوى فمن غلا على هواه عقله فقد نجا
وكان وزيره ذا رأي أصيل. وعقل يستميل ولا يميل. قد خُصّ
بفطرة سليمة وفكرة مستقيمة. وظنّ تحسّبه لصدقه نقيّة^(٢). وإخلاص
في المحبة وتحقيق بالأمانة. وكان مع ذلك لا يُخلي الملك نبصيره
مواقع رشده. وتسديده إلى الصواب في رأيه وقصده. ولا يُغفلُ إلقاء
النصيحة في صدره وورده. والملك ذلك مطرّح لآرائه. معرض عن
إرشاده إلى النصائح ودعائه. متضجّر من دخوله عليه، متبرّم ببلقائه.
إلى أن صار الوزير لا يتجاسرُ على حمل نصيحة. ولا يقدرُ على
التنبيه على مصلحة صريحة. وهو مع ذلك ليّمن نقيته وصفاء
عقيدته. يلتمس حيلةً يستخلصُ بها الملك من تلك الحبال^(٣).
ويرتاد وسيلةً يتوصلُ بها إلى إطلاعه على ما يتوقعه من الغوائل^(٤).
وكذه في ذلك يكدي وجده لا يجدي.

(١) من مقصورة ابن دريد الشهيرة والتي أنشأها في مدح الأميرين ابنِ ميّكال ومطالعها:

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبيح تحت أذيال الدجى
والبيت موجود في أمالي المرزوقي، ٣٢٢ (رقم ١٨١). وانظر تعليقات
وإضافات الدكتور الجبوري، محقق الأمالي، ص ٢٨٦.

(٢) النقيّة: النفس.

(٣) الحبال ج. حيلة، وهي: المصيدة.

(٤) الغوائل: الشدائد.

[مصابرة الأمور]

واشتدَّ همُّ الوزير حتى عافَ الشرابَ والطعامَ. وهجرَ لذيقِ الكرى والمنام. وكانت له جارية مجزبة، لبينة مهذبة. قد أصلح التهذيبُ شمائلها وثقّف التأديبُ خلائقها. فلما كثر عليها ما تراه من أمور مولاها. وكبر لديها ما يكابذه بمشهدها ومرآها. قالت له: يا سيدي ألم تعلم أنَّ العلماءَ مُجمعون على أنه لا شيء أنحل للجسم من مساورة الهمِّ ومكابدة الغمِّ؟ وإنما مُدحت الخزْمةُ من الرجال بمصابرة الأمور إذا اشتدت. وإعمال الحيلة فيها إذا ارتجت أبوابها وانسدت. وقد قيل: الثاني في الحيلة خيرٌ من القوة والنجدة. وقيل: رب رأي فل^(١) جيشاً. وقيل: إياك والعجلة قبل المعرفة. وإياك والثوبة بعد الثقة.

[الاستشارة]

وقد كان الأفاضلُ من الملوك - مع استغنائهم بقرائحهم الثاقبة وبصائرهم النافذة - لا يخلونُ الأمورَ المتشابهة من الاستشارة. ولا يُهملون الاستضاءة فيها بأنوارِ العقولِ السليمة الاستنارة. فإن أخطأ خذسهم كان ذلك سُلماً لهم إلى العُذر. وإن أصابوا فازوا بالسداد وشرفِ الذكر.

وقد قال بعضُ الحكماء: ثلاثٌ لا يعدمُ المرءُ الرشدَ فيهنَّ: مشاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتحبُّبُ إلى الناس. وقال آخر: لا تُدرك الأمورُ بالرأي الفرد، فليستعن مكدود

(١) فل: هزم.

بوادع، ومشغول بفارغ.

وقال آخر: لئن أخطى وقد استشرت، أحب إلي من أن أصيب وقد استبددت.

وقد قيل^(١) [المقارب]:

إذا الأمر أشكل إنفاده ولم تر منه سبيلاً فسيحاً
فشاور بأمرك في شورة أخاك اللبيب الصدوق النصيحاً
فربما فرج الناصحون وأبدوا من الرأي رأياً صحيحاً
ولن^(*) يلبث المستشير الرجال إذا هو شاور أن يستريحاً
والغز من الملوك من ظن أنه مستغن عن المشاورة بما يراه من سلامة
الأمر. وجريها على موافقة المقدور.

ولما ينبغي للملك أن يعنى بتثمين أمواله، والنظر في أحوال
رجاله. وإعداد الأهبة لكل ما يخشى من عاقبة وباله. فإن دهمه أمر
على حال بغتة كانت أهبتة حاضرة وعدته ياسرة. وإن استغنى عن
ذلك فما ضره التحفظ، ولا قدح فيه التيقظ.

وقد قال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن يكون اعتماده على
ما يوجهه الرأي والحزم ولا يتكل على ما يوجهه الاتفاق والبخت.
ومن غاب على نفسه المشورة فليطل الفكرة في سوء العواقب. وما
يجزه سوء الرأي من المصائب. وقد قيل^(٢) [الطويل]:

(١) القطعة باختلاف بسيط في بهجة المجالس، ١٤٥٨: لباب الآداب، ٧٥ (بلا

نسبة)؛ ديوان منصور الفقيه (المنسوب)، ١١٦٢: الجواهر النخس، ١٢٥.

(*) الديوان: ولا يلبث.

(٢) البيان لبشار بن برد. بهجة المجالس، ٤٥٣: المنتحل، ٥٩٣ (رقم =

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي لبيب أو مشورة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غصاصة فإن الخوافي قوة للقوادم

[الوزير العاجز والجارية]

فلما بلغ الوزير ذلك من كلامها أعجبه، وتفكر فيه بعقله
فاستجاده واستصوبه. وقص عليها ما يتخوفه على الملك من
الأعداء. وإن الجند قد تشعبت بهم - بعد السياسة - فرق الأهواء.
والأموال قد انقطع درها. والأحوال قد استشرى شرها. والأطراف
قد كاد المتغلبون يتغلبون عليها. وارتفاع الأعمال قد حسر بسوء
نصرف المتصرفين فيها. والملك مشغول بأفراحه ولذاته. غافل عما
يعقبه وخيم العقبي الذي يشمل رعيته ويحضه في ذاته.

فقالت الجارية: إن الدنيا لا يُنال منها جانب إلا بترك جانب.
ولا يُوصل منها إلى رتبة إلا بالنزول عن غيرها من المراتب. فإن
سمحت نفسك بهبتي للملك رجوت أن يتسرى عنك همك. ويزول -
بعون الله - حزنك وغمك.

فقال: إن فراقك ليحزنني. وإن فقدك ليعدمني روح الحياة
ويفقدي. وما انتفع بالحياة بعدك! وأي أرب^(١) يبقى لي في الدنيا إذا
زايطني شخصك، لا ذقت فقدك؟

قالت له الجارية: إن من حاول عظيماً خاطر بعظمته، ومن
ظلت ذا قيمة نفسه ترك ما يُنافس فيه لنفاسة قيمته.

= (١٧٣٥)؛ ديوانه ٢٠٥ - ٢٠٦. وهما من قصيدة في هجاء أبي جعفر
المنصور.

(١) أرب: حاجة.

قال لها الوزير: إن أمراً عجزت عنه حيلتي لجدير أن لا يبلغه احتيالك. وقضية قصرت عن احتمالها قدرتي لحقيقتي أن يقصّر عنها احتمالك.

قالت له الجارية: إني أصل من الملك إلى ما لا تصل أنت إليه. وأقدر من التوصل إلى قلبه علي ما تقدر أنت عليه. لأنني أحضره في وقت تناهي سروره وطربه. وأخلو معه في أوقات لهوه ولعبه. وزمام قلبه حينئذ في يدي كيف ما شئت ألقبه. وعنان له مسلّم إليّ، فعليّ حكم اختياري تصرفه ونقله. لا سيما إذا اختلفت لديك وجهاً يوجب التأمل. وأخرجته في معرض يرى أنه بريء من التكلف والعمل.

فاتخذ لها الوزير عند ذلك أصناف الحلي والملابس. وحكمها^(١) من خزائنه في كل ما اقترحت من الذخائر والنفائس. وحملها إلى الملك في أكمل هيئة وصورة. ونقلها إلى قصره، وقد أصبحت صفات الجمال عليها مقصورة. فلما رآها الملك راعه ما عاينه من باهر حسنها. واستنطقها ففتته ما سمع من فصاحة لسانها على حداثة سنّها. فملكك عليه أعشار قلبه. وشغلته من نسائه عمن كانت تدلّ بميله إليها وحبّه.

وأقامت عنده مدة لا يُلْهيها عنها لهو ولا طرب. ولا يُلْهيها عن الاشتغال بها مهم ولا أرب. فلما عَلِمَتْ أن هواها من قلبه قد تمكّن، وظهر لها صدق شغفه بها وتبين. اتخذت مجلساً عظيماً كُسيَتْ^(*) بصفائح الذهب الإبريز حيطانه وسقوفه. ورضعت فيه من

(١) حكمها: أي تركها تختار ما تشاء.

(*) كُسيَتْ: المجلس مذكّر، لكن الناصح أنّه.

الدرّ والياقوت أنواعه وصنوفه. واستكثرت فيه من بدائع الآلات. وعجائب الحركات والنعيمات. ومن المياه المنخرقة والجداول المتدفقة. وشخص الأطيّار الناطقة بغرائب الألحان. وفتون الفواكه والزهر والريحان. ونفائس الفرش والتمارق^(١) البديعات الألوان صنوان^(٢) وغير صنوان. ما كان في وقته قيد العيان. وشغل اللسان وعمارة الأذان. وكانت قد سئرت عن الملك في طول هذه المدة حذقها بصناعة العود^(٣). وذخرت ذلك لهذا اليوم الموعود. ثم دعت الملك إلى مجلسها وقد أظهرت من زيتها ما يناسب زينته. وبرزت من تجميلها في قالب استوفى من الجمال جملة.

فلما دخل عليها راقه ما رأى من بديع جمالها. وأطربه ما شاهده في ذلك المجلس من جميل اهتمامها وجميل احتفالها. فلما استقرّ به مجلسه، وطاب به أنسه، ونال بقدر الحاجة ممّا هبىء من ذلك الطعام. وشرع في استدعاء السرور بتناول كاسات المدام. أخذت العود. وقد حفّت بها طالع السعود. وغنّت غناءً كاد يذيب الجوامد الجلامد. فكانت كما قيل^(٤) [المسرح]:

(١) التمارق ج. نمرق، وهي الوسادة الصغيرة يُنكأ عليها.

(٢) الصنو: الأخ الشقيق والابن والعم ج. أصناء وصنوان، والأنثى صنوة، ويُقال هذا للنبات وغيره.

(٣) صناعة العود: هي صناعة قديمة عرفها العرب منذ العصر الجاهلي ثم تطورت وخصها الخوارزمي الكاتب بفصل واسع ولا تزال بغداد تُعنى بهذه الصناعة. انظر: مفاتيح العلوم، الباب السابع، ٢٣٩ - ٢٤٦.

(٤) البيت بلا عزو في التذكرة الفخرية، ٢٣٠. ولكشاجم في ديوانه، ٤٦٥ (رقم ٤٦٠)؛ من غاب عنه المطرب (نح: السامرائي)، ١٩٣ وفيه: يبق... تمت (وهي الرواية المفضلة).

عَثْتُ فلم تبْقْ في جَارِحَةٍ إِلَّا تَمْنَيْتُ أَنهَا أَذُنٌ
فاجتمع له من السرور ما تفرّق في سالفِ عُمُرِهِ . وأسْفَ على
ما فرط فيه من الغفلة عنها في غابر دهره . ثم أنشد بعدما قرع سنّ
نادم^(١) [الطويل]:

وكاد سروري لا يضي بِندامتي على تركها في دَهْرِي المتقادم
فلم يزل معها على تلك الحال حتى علمت أن السرور قد غلبَ
عليه . والطرب قد تناهت غاياته إليه . فاندفعت تغني بشعر تعرّض فيه
لذلك المجلس بالزوال . ولتلك الحال بالتحول والانتقال . ثم
أجهشت في إثره بالبكاء والعيول . واتبعت ذلك بالأسف الزائد
والتحسر الطويل .

فاضطربَ الملكُ لذلك وتنكر . وتغيّر وجهه وتمعر^(٢) . وقال
لها: ممّ هذا البكاء الذي لا يليقُ بهذا الوقت؟ وما الموجبُ للانتقالِ
من حالٍ بوجِبِ المَقَّةِ^(٣) إلى حالةٍ توجبُ المَقْت؟ وهل بقي شيء من
المسارِ إلّا وحضر؟ وهل شيء من هذه الملاذ^(٤) إلّا وقد غبر في
وجه ما مضى من أمثاله في سالفِ العمر وغير؟
فقالت: لا والله ما على هذا كان أعوالي . ولا بسببه كان إذ
رأى لدمعي وأسبالي .

(١) للمتنبي من قصيدة مطلعها:

أنا لا أتمني إن كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم

انظر: ديوان المتنبي بشرح الواحدي، ٣١٥ - ٣٢٠ ط بغداد ٣٢٣.

(٢) تمعر الوجه: تقبّض.

(٣) المَقَّة: المحبة، والمَقْت: الكره.

(٤) الملاذ: الملذات.

قال: فَلِمَ عَرَضْتَ بزوال هذه المسرة؟ وَلِمَ عَقَبْتَ ما تَقْدَمُ مِنْكَ من الميرة بهذه المضرة؟

فاستعفتَه، فامتنع من إعفائها. فأقسمت عليه فأقسم لتخبرته بهذه القصة التي قد أَصْرَتْ على إخفائها.

فَقَالَتْ: وكيف لا أبكي لفقد هذه الحال السارة؟ وأنأسف على خروجي من ظلِّ عَرْزِ المملكة، وحمى دار الإمارة؟

فقال لها: ما هذا الوسواس الذي قد ملك عليك بالك؟ وما هذا الفأل الذي أوقعك فيه الرأي القائل لا أبا لك؟!

[أسباب زوال الملك]

قالت: وأي ملك يبقى وقد فشا الظلم في الرعية. وضعفت عن دفعه من السلطنة يدها القوية. ولم يبقَ من لا يخشى ظلمَ غيرك. ولا خير يرجى من أحدٍ إلا فضلك وخيرك، وقد أهملت مع ذلك - أيها الملك - النظر في أمور رعيّتك والمباشرة لأحوالهم. وأعرضت عنهم إعراض المفضّب عليهم. فانقطعت من حُسن الظنِّ بجميل الرأي فيهم عرى آمالهم. فلو نظرت إليهم في كل أسبوع نظرة لعرفت بها في وجوههم نضرة النعيم. واستروحوا إليك ولو بمجرد الشكوى كما يستريح إلى الطبيب بشكوى به السقيم. فإن المريض ينتعش عند رؤية طبيبه قواه. ويجد لذلك من الأثر في نفسه ما لا يجده لنافع دواه.

[الثوب الأحمر]

وقد حُكي أن بعض ملوك الصين^(١) كان قد أُوتي في العدل بسطة. وحبب إليه الإنصاف حتى لم يكن له في شيء سواء سرور ولا في غيره غبطة. فكان يجلس لرعيته غداة كل يوم فينظر في مصالحهم ومظالمهم. ويكف عن مظلومهم يَد ظالمهم. فلم يزل على ذلك حتى أصيب بأفة في سمعه. واعتراه صمم لم يقدر بحيلة على دفعه عن نفسه ومنعه. فتعاضمه ما ترك به من هذا العارض. وتكدر عليه من عيشه صفوه وأضحى حميم لذاته وهو بارض^(٢). فدخل عليه في بعض الأيام بعض خواصه، فوجدته يبكي بكاء ثكلى أصيبت بواحدتها وعزها الجزع، فعسر عليها العزاء حتى أبكت عين حاسدها.

فقال له: الملك - أعزه الله - أبصر بمواقع السلو والعزاء. وأعلم بما أعذه الله تعالى للمصابرين في البأساء من حُسن الجزاء. وإن الجزع لا يرد فايئاً، والبكاء لا يرد ذاهياً. والصبر أحسن في الأمور عواقباً. فقال: والله ما أبكي لما فات مني، فإني قد احتسبت عند الله قوته. ولكن لمظلوم يصرخ بالباب، فلا أسمع صوته.

(١) ملوك الصين: انظر طرفاً من تاريخهم وأخبارهم في مروج الذهب ١: ١٥٥ - ١٧٣. ومعجم البلدان (مادة صين) ٣: ٤٤٠ - ٤٤٨. وترد حكاية الثوب الأحمر في عدة مصادر بينها: سراج الملوك للطُّرطُوشي (تج: محمد فتحي أبو بكر - الدار المصرية اللبنانية - الإسكندرية، ١٩٩٤م) ص ٢٢٣، وقد جعلها في الهند بدل الصين. المصباح المضيء لابن الجوزي ٢/ ١٤٥. صيون الأخبار ٢/ ٣٣٥.

(٢) بارض وبروض: مفتقر، لكثرة عطائه وحميم لذاته: أسير لذاته.

ثم قال: أما ما ذهب سمعي فإن بَصْرِي لم يذهب. وإذا قد سلب البعض مني، فإن لي عوضاً فيما لم يُسلب.

ثم أمر فتُودي في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم. ولا يُعلن بهذا الشعار إلا من هو مهنتهم مكظوم. وكان يركب الفيل في طرفي نهاره. ويرمي الناس بحاسة أبصاره. فمن رآه مستشعراً شعارَ الظلم. أو مشيراً إشارة التضور والتألم. أمر في الحال بكشف قصته واتباعه غصته. ثم يقول: اللهم هذا مبلغ جهدي وحيلتي. فلا تواخذني بما لم تبلغه قدرتي^(١).

ثم إنه - أيها الملك - قد قل ما يحمل إلى خزائنك من الأموال. وخلت مخازن أقواتك من الغلال. والملك إذا لم يؤت سعة من المال. انقطعت من تأمليه علائق الآمال. ولم يقدر على بلوغ شيء من أغراضه على حال.

[كرم الملوكة]

وقد قيل: الكريم على الناس ذو المال. والكريم فيهم ذو النوال. فينبغي أن يكون الملك متلفاً، مخلفاً، واهباً، كاسياً، مبيداً، مفيداً.

وقد قيل^(٢) [الطويل]:

(١) ورد هذا الخبر في أثناء حوار طويل وقع لأبي جعفر المنصور مع رجل من أهل مكة: صيون الأخبار، المجلد الأول، ٣٣٣ - ٣٣٦، الزهرات المنشورة لابن سناء العاملي، ٥٩ - ٦٠ (نسبه إلى أحد ملوك الهند).

(٢) البيت في لسان العرب (عرا) ما يمتثل به من الأبيات، ١٦٢: لابن مقبل في ديوانه ٢٤٣ من قصيدة تبلغ ٥٥ بيتاً، ولعبد الله بن همام السلولي في الكامل للمبرد، ٦٦٣.

فاتلّف وأخلف إنما المال غارة^(١) وكُلّه مع الدهر الذي هو آكله
ويجب أن تكونَ عناية الملك ببيوت أمواله، كعنايته ببني آماله.
وتربته لأصول ارتفاعه كربه الشنيعة عند ذوي اصطناعه. وأن لا
يكون عند الحاجة إلى ما في أيدي رعيته مفتقراً. ولا بالضرورة عند
وقوعها في مضايقتهم معتذراً. فيكون مثله كمثلي الهرة التي تأكلُ
أولادها عند ضرورتها^(٢). وتنسى ما كان لها عليهم قبل ذلك من
حنوها وشفقتها. ثم جباة الأموال ومن يتولاها من قبيلهم من العُمال.
فهم رجالان: أما ذو جرأة وإقدام على الخيانة. وأما عفّ ذو أمانة قد
أضاع بالمحابة والدّب عن نفسه من حقوق الديوان ما هو حقيقّ
بالصيانة. فلو استشعر الأول أن له مَنْ يأخذه بسوء جنائته لكفّ عن
غُرب^(٣) جراته وخيائته. ولو تحقّق الثاني ممّن يسمّى في إفساد
حالته، لعمل بمقتضى علمه وأمانته. فعدم النظر هو الذي طرق هذا
الخلل، وأفضى إلى هذا الأمر الجلل.

ثم الأجناد^(٤) الذين هم أعضاء الدولة وأنجادهاء، وأركان الملة
وأوتادها. وبهم يُرهب العدو ويُقمع. ويسيوفهم يُستأصل دابره
ويقطع. قد أفسدت المساواة بينهم عقائدهم. وغيّرت في الطاعة
عوائدهم. فتفرّقت أهواءهم المنتظمة في التساهل والعزائم. وقد قال
الحكيم^(٥): إذا تساوى الناس هلكوا.

وأعظم من ذلك: إهمال التفقّد لأحوالهم. وإغفال شغلهم فيما
قد أهلوا له واستعمالهم. حتى قضى ذلك لهم باعتياد الرفاهية

(٤) الأجناد ج. جندي.

(٥) يقصد هنا أرسطو.

(١) غارة أي معار.

(٢) كناية الهرة معروفة ومشهورة.

(٣) غُرب: الجذّة.

والراحة. وصير محظورات تلك الأمور كلها عندهم مباحة. فاستلنا الهوينى. وأعرضوا في طلب العز عن التعرض للمتالف، وقعدت به همم النفوس حتى تشبهوا بالقواعد^(١). ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف. وحملتهم الجرة إلى أن طلبوا من زيادة الأرزاق فوق ما توجه لهم قضية الاستحقاق. فإن يُعطوا منها رضوا، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون. ثم قعدوا عن التكسب بأسباب معيشتهم وشاركوا الرعية في مهن عيشتهم. وتمثلوا بالسوقة^(٢) لطول المقام معهم في أخلاقهم. وضايقوهم لما غلب عليهم من حب الراحة في تصرفات أرزاقهم. وإنما مثل الجندي كمثل الكاسر الذي يتكسب بناه ومخلبه. وتسمو نفسه لشرفها عن مشاركة شيء من الحيوانات في مأكله ومشربه. فهو لا يسأم مبارزة الخطوب، ولا يكره منازل الحتوف. ولا يحب المال إلا من قنأ^(٣) وسيوف [الطويل]:

يظل بموماة، ويمسي بغيرها جحيشاً، ويعروري ظهور المهالك يرى الوحدة الأنس الأنيس ويهندي بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك^(٤) ثم الأعداء المجاورون^(*) لبلادك قد أشرفوا عليها من كل جانب وأطلوا. وأجمعوا على غزوها من كل جهة. وقلما عزى قوم في غفر دارهم إلا ذلوا.

ثم شرحت له من أسرار ما كان الوزير ألقاه إليها البواطن. وأثارت من غوامض ما كان قصه عليه الدفاتن.

(١) القواعد: النساء.

(٢) السوقة: الرعية.

(٣) القنأ: الرماح.

(*) في الأصل: المجاورين.

(٤) البيتان لتأبط شراً في ديوانه، ١٥٢ - ١٥٦؛ شعره، ١١٦ - ١١٩.

فقال لها: أتى^(١) لك هذا؟

قالت: ممن حمله على التحيل^(٢) في النصح فرط شفقته.
وعرف لمرتيه ومصطنعه حق اصطناعه^(٣) وتربيته.

[ندم الملك]

فأفاق الملك من غمرة سُكره. وتاب إليه من لُبه ما كان عازباً،
فندم على ما فرط فيه من أمره.

وخرج فاستدعى الوزير من فوره. وسأله أن يخبره بكل ما كان
يعتلج^(٤) في صدره. فوجده مستعداً للجواب عن كل ما يُسأل عنه.
متيناً للإرشاد إلى كل ما يراؤ من سداد الرأي منه. فأطلعه على خفايا
الأسرار. وعرفه ما صحَّ عنده عن عدوه من الأخبار. ويضره من
السياسة أموراً كان يسترها عنه غشاة على ناظرٍ قلبه فإنها لا تُعمي
الأبصار.

فأطرق خجلاً من الوزير. وندم على ما كان منه لهذه النصائح
من التأخير. ثم رفض اللذات البهيمية^(٥) وهجرها. وحرم الشهوات
الخشيسة وحظرها. وأخرج ما عنده من آلة المنكرات التي أنكرها
فحطمها وكسرها. ورجع إلى الله تعالى من جميع ذنوبه تائباً. ولزم
باب جوده وفضله عاكفاً على الاستغفار مواظباً. ثم انتصب بنفسه

(١) أتى: أي من أين لك هذا؟

(٢) التحيل من الحيلة.

(٣) اصطنعه: رباها واعتنى به.

(٤) يعتلج: يدور.

(٥) اللذات البهيمية: اللذات الحيوانية.

لقمع الظالم وإدالة المظلوم^(١). ورثب كل شيء من التدبير في وقت معلوم. ثم أحسن النظر في أمور زعايها وأجناده. ورمى بسهام الآراء الصائبة لما بعد من أطراف بلاده.

فلم يلبث أن توطدت له الأمور واستقرت. وجرت أحوال دولته على قوانين الصلاح واستمرت. فانتشر في الآفاق أن الملك قد باشر سياسة ملكه بنفسه. وصمد في يومه لتلافي فارط أمره. وثبتل^(٢) لتفقد المصالح في ليله ونهاره. وألهاه الاشتغال بذلك عما كان يشغله من لذته وأوطاره^(٣). وأنه قد أخذ في تسريب العساكر إلى الأقطار الشاسعة، وتجهيز الجيوش إلى الآفاق البعيدة بالقوة المانعة والآلة الجامعة. فخنس^(٤) كل من الأعداء في كناسه^(٥). وأعدّ بعدالة غزوه آلة احتراسه. وقنع من الغنيمة بحفظه لرأسه.

[وصايا الجارية]

قال الملك: لقد أحسنت هذه الجارية في إيقاظ الملك من غفلته. وتنبيهه على مصالح دولته. فزيديني من هذه الوصايا المتفقة. والقضايا التي هي إلى الصواب مرشدة وبه معرفة. قالت: نعم - أعز الله الملك -: وأما إيداعه القلوب الرهبة من غير ضغينة^(٦)، فبإقامة الحدود في العقوبات على حدّها. وإسقاط

(١) إدالة المظلوم: رفع الحيف عنه.

(٢) ثبتل: تزهد.

(٣) أوطاره: حاجاته.

(٤) خنس: اختفى.

(٥) كنس: داخل الخيمة.

(٦) راجع فقرة المصالح التي أثبتتها المؤلف في مقدمته، ص ٤٩.

الشفاعات في إسقاط شيء من أسهلها وأشدّها. والإعراض عن إظهار أن للنفس حظاً بالجملة في استيفائها وإشعار القلوب أنه لا محيد عن امتثال الشريعة الإلهية في ذلك واتباع قضائها. فإذا تحقّق المذنب أنه غير مأخوذ إلا بذنبه. ولا يُجازى إلا بما قدمت يداه من كسبه. وأن المعاقب لا أرب له في عقابه إلا امتثال أمر ربه. زالت الضغينة من نفسه وسكنت الرهبة في قلبه.

[التدبير والتبذير]

واعلم أيها الملك - أيّدك الله - إنه يجب على المليك أن يعلم بالقوت^(١). ويمنع من فضول العيش التي تمتنع بها كثير من المصالح وتفوت. وهي مع ذلك مادة البطر والأشر^(٢). والباعث على كل شرّ يستطير له شرر. ويتفقد أجنّاده وحظاياه وأبناء دولته ومن يلتزم أمره من رعاياه. فيقدّر لكلّ منهم من الرزق على قدر همته. ولا يقتصر به على البلغة^(٣) من كفايته. فإن الهمم تختلف باختلاف الأشخاص. والنفوس فيها متفاوتة فمنها ما تجب له الزيادة، ومنها ما يتعين منه الانتقاص. وأعدل الهمم ما كان وسطاً بين طرفي التبذير والتقتير. وعدلاً غير مائل إلى أحد جانبي التفريط بالتقليل ولا الإفراط بالتكثير والمليك أمين الله في بلاده. وخليفته على من خلق من عباده أقامه لتدبير خلقه. وجعله قاسماً بينهم لما قدره لكلّ منهم من رزقه. والمملك في يده وديعة، فلا ينبغي له أن يخل^(٤). وأمانة فلا يجوز له أن يقصر في حفظه ولا بشرط صيانتة أن يخل. ومن الغلول اتفاه في

(١) راجع الفقرة نفسها، ص ٤٩. (٣) البلغة: الحد الأدنى.
(٢) الأشر: كفر النعمة. (٤) الغل: الحقد والضغن.

غير حقه. ومن التقصير في حفظه إعطاؤه لغير مستحقه. لأنه موكل
للصرف في مهام الأمة حين لا يُغني إلا صرفه وإطلاقه. ومعدّ
للاتفاق في مصالح الملة، حين لا يُجدي إلا بذله وإنفاقه.

[المرأة ربحانة]

واعلم أيها المملك - أعزك الله - إنه يجب على المملك أن لا
يكون بآراء النساء في شيء من التدبير عاملاً. ولا معهن في جميع
الأغراض مائلاً. فقد سبق المثل بقول الحكيم: المرأة ربحانة وليست
بقهرمانة^(١).

[تصغير الأعداء مرفوض]

ومن كمال سعادة المملك وتمام إقباله. واستيلاء التوفيق على
آرائه واشتماله. أن لا يكون تصغير الأعداء مُحْتَقِراً. ولا على يسير
التدبير في أمره مقتصرأ. بل يجب عليه المبادرة بقُط نواجم
الأعداء^(٢). وأن لا يتهاون بالأمر في أوله فيأخذ في الزيادة
والاستشراء. فإن يسير الشر يبدو كالنار أولها ضئيلة وآخرها لا يطاق
دفعه بحيلة. فإن لم يبادر إلى إطفائها وإخمادها. أهلكت بسرعة

-
- (١) القهرمانة: مدبرة البيت، وأصل عمل القهرمانة في بلاط الخليفة، أن تؤدّي
الرسائل عن الخليفة. غير أن ضعف الخلفاء واحتجابهم في قصور وتسلط
النساء، أدى إلى سيطرة القهرمانة. لاحظ ما كتب عبود الشالحي
(ت ١٩٩٦م) في حاشية الفرج بعد الشدة للتوخي ٤: ٣٧٠ - ٣٧١ (تجد
تعريفاً وجيزاً للقهرمانة في موضع آخر). ومعنى هذا المثل: أنه يستمتع بها
ولا يعتمد عليها وقد أورده الثعالبي في كتابه: التمثيل والمحاضرة، ٢١٥.
- (٢) قط نواجم الأعداء: سحق الأعداء.

اشتعالها واتقادها. فيجب عليه أن يُقابل ضعيف الأعداء بمقابلة قوّيها. ويساوي في الأخذ بالحوطة بين شريفها ودنيها. فربّ فتنة كانت عن كلمة يسيرة. وميتة كان سببها لقمة حقيرة. وقد قيل [المتقارب]:

ولا تحفرنّ عدوّاً رماك وإن كان في ساعديه قصّر
فإن السيوف تجذّ الرقاب وتعجزّ عما تنال الإبر^(١)
وقل من كان بأعباء^(*) السياسة مستقلاً، فكان لقليل الأعداء مستغلاً. أو كان بأنوار الصواب مستندلاً، فكان للذليل الأعداء متبذلاً^(**). وقد ضربت الحكماء في ذلك أمثالاً. وصرفوا فيه أموالاً. وأوردوا عليه من الحكاية عما شوهد شاهداً ومثالاً.

[الصعلوك]

فمن ذلك ما حُكي أن بعض الملوك كانت قد فسدت في الرعية سيرته. واختلت سياسته. وغلب عليه جُنده وأقاربه. وقلّت في التدبير مضاربه. فصارت المنكرات في أعماله فاشية. والمخزيات في بلاده ظاهرة بادية، وحُرُمات الشريعة متهكة. وذوور القُدرة قد قهروا الضعفاء بسوء الملكة. وكان في مدينته رجل صُعْلُوك. إلا أن له همة الملوك. فلما رأى شدة اختلال الأحوال واضطرابها وظهور مبادئ

(١) البيتان لابن نباتة السعدي في: الإيجاز والإيجاز، ٢٧٩؛ لباب الآداب ٢:

١١٤ ديوانه ٢: ٧٣ من قصيدة في مدح شرف الدولة شيرزبل بن عضد

الدولة عند وروده بغداد واستيلائه على الملك، وأنشدها إياه في نوروز سنة

سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة، وفي الديوان: الحسام بدل السيوف.

(*) كلمة أعباء متلاشية في الأصل.

(**) الأصل: مبتدلاً، خطأ.

إشراط الزوال واقترباها. حذث نفسه بالاستيلاء على المُلْك والتغلب. وناجاها بالقفز على الأمر والتوثب. فأخذ في التعرّض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. متحققاً أن هذا الأمر وإن قلّ مساعده فيه فإنه ممّا لا ينبغي عليه ولا يُنكر. فأظهر القيام بالحسبة^(١) احتساباً. وأنكر على من يتخذها معيشة واكتساباً. ثم تدرّج من ذلك إلى الجرأة على المَلِك في أحواله. والإنكار عليه بغليظ القول لمّا كثرت انتحاله. وإظهار الاستخفاف به وقلة المبالاة. والاعتراض بالطعن على أحكام الولاية والقضاة. والتفوّه بألفاظ يقدح^(٢) بها في سياسة المُلْك وسيرته. وتبعث العامة بمقتضاها على خلع طاعته، ونقض بيعته. مُستنداً في ذلك إلى ما أظهره من حُشونة الزهد وبرز فيه من جليلة التنسك والتعبد حتى كثر من العامة أتباعه. وكثر من الغوغاء أتباعه. ففطن لسرّ مقصوده ذور البصائر. وعلموا ما يجرّه التهاون بأمر من سوء الجرائر^(٣). فأعلموا الملك بلباب مقصده. وأطلعوا على ما أطلعوا عليه من خبيث معتقده. وأغروه بسفك دمه. وحذّروه من التفريط المُعقّب لأسفه ونذمه. فضحك منهم هارباً. وسخر من

(١) الحسبة: أمر بمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن منكر إذا ظهر فعله. للحسبة أبواب كثيرة أوسعها موجودة في الأسواق والأحياء السكنية والتجارية والطرق العامة وغيرها. للتفاصيل انظر: الأحكام السلطانية للماوردي؛ نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري؛ معالم القرية في أحكام الحسبة لابن الإخوة (القاهرة ١٩٧٦) الحسبة على المدن والعمران للدكتور وليد المنيس (الكويت ١٤١٦هـ) الحسبة والمحتسب في الإسلام (بيروت ١٩٧٠م)؛ نظام الحسبة في العراق لرشاد معنوق... إلخ.

(٢) القَدَح: الطعن.

(٣) الجرائر ج: جريرة وهي: التبعات.

أقوالهم لاهياً. وقال: إن من أقبح ما يُنشر ويذكر، وأشنع ما يُروى ويؤثر. أن الملك - على جلالته منصبه وجميل رأيه في الرأي ومذهبه - خاف من عادية صعلوك فقير، ودُعر من قصة مسكين حقير. وليس من ذوي الجرأة والفتكة، ولا من أهل الشوكة^(*) والشكة. فبادر إلى قتله منتهزاً لهذه الفرصة العظيمة. وخائفاً من هذه العقبة الوييلة^(١) الوخيمة. وكيف يسوّغ في الشريعة الإقدام على رجل من أهل الدين بالقتل؟ أو يحلّ في الدين المبادرة لسفك دم من لا ذنب له إلا الأمر بالإحسان والعدل؟

فقالوا له: أيها الملك، أراك الله الصواب، واستعملك فيما يرضاه من المجاب. فإذا لم تسمح نفسك بقتله. ولا حسن عندها حسم هذا الداء من أصله. فتقدم بحبسه ليكون ذلك إما زاجراً له عن معاودة الجرأة عليك والقدح في دولتك. أو باعثاً له على الخروج من حوزتك وارتباده بلدة غير بلدتك.

فتقدم الملك باعتقاله وأمر المتوكلين به بمطالعة بأحواله. فلم يرَ مفترأ في طول حبسه عن الصلاة والصيام. ولا مقصراً في إحياء الليل بالتلاوة والقيام. ولا متناولاً من الشراب والطعام إلا قدر ما يكون لنفسه به قوام.

فلما أعلم الملك ذلك من حاله. ندم على ما كان من حبسه. ولام من حمله على ذلك وعاد بأكثر اللوم على نفسه. ثم أمر بإخراجه وأكرم مشواه. ورغب إليه في التحليل مما كان منه وأن لا يُخلّيه من صالح دعاه. فلما تخلّى سربه وتخلّى بالأنس قلبه، عاد إلى أعظم من حاله الأولى. وأفرط في الزيادة فيما كان يقول ويفعل.

(*) الأصل: السوكة.

(١) الوييلة: الشديدة.

فافتعل الناس له من كواذب المنامات^(١). واختلقوا له من فنون الكرامات. ما كادوا يرفعونه عن درجة الأولياء إلى رتبة الأنبياء. ويحلّونه محل من حوْطب من الهوى أو كوشف بحقائق الأنباء.

فاجتمع أهل النصيحة إلى الملك وقالوا له: إن لم تتلاف هذا الداء، وإلا أعضل^(٢) دواؤه وامتنع. وإنا لم تبادر برقع هذا الخرق، وإلا أعيا على الراقع واتسع^(٣). وإنا لم نزل قط في أمر هذا الرجل على بصيرة. ولم يتخالجنا الشك قط فيما كان يبطنه من سوء سريرة. وإنما بدا للملك في أمره أمرٌ فلم نستطع فيه مقاومته. ورأى في بابه رأياً فلم يمكننا أن نُطيل فيه جداله ومخاصمته. ورأينا فيه هو الرأي الأول. وحكمنا فيه أن تمضي فيه حكم [...] السيف فيقتل.

فقال الملك: إن نفسي لشديدة اليفار من قتله. وإني لأريأنها عن سوء المقدرة على مثله. ولكن يُنفى من المدينة ويخرج. ويُعفى من القتل وإن كان إليه قد أحوج.

فأخرج عن المدينة من فوره. وخرج الناس لتوديعه حتى غصّ بالنظارة منهم سورها على سعة دُوره. فأنتهى به المسير إلى بعض القرى. فأوى إلى ظل مستجدها متعرضاً للقرى^(٤). فلما رأى أهلها حُسن سمته وسمته وأطباهم^(٥) لهم بما شاهدوه منه من عمارته بالخيرات

(١) كواذب المنامات: كواذب الأحلام. انظر كتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة، تح: الأستاذ إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠١١.

(٢) أعضل: اشتد.

(٣) هذه القصة لها شبه في نشوار المحاضرة للتتوخي، تح: عبود الشالحي، ج ٢، ص ٣٥١ - ٣٥٥. فقارن هذه بتلك.

(٤) القرى: الضيافة.

(٥) كذا في الأصل.

لوقته . اكرموا برّه . وعرفوا له فضله . وقالوا له : إن شئت المقام عندنا فأقم . وإن آثرت الانتقال عَنَّا فها أموالنا فاحتكم .

فقال : والله ما بي عن المقام بينكم رغبة . ولا بدا لي منكم إلا ما يوجب المقة والمحبة . ولكنني أخاف أن أكونَ عليكم كلاً^(١) . وأخشى أن يطولَ مقامي بينكم فتستثقلوا لي ظلاً . فلو رأيتم لي عملاً من الحلال أعملُ فيه . وأقنع أن أكونَ ممَّن يصونه عزكم ويحميه . لرجوت أن يكونَ ذلك إلى دوام [. . .] أقرب . ورأيت أن الأخذ به أولى وأوجب .

قالوا له : تالله ! لقد بالغت في الإبانة عن لومنا . واستوجبت بذلك غاية ذمنا ولومنا . وإن زكوات أموالنا لتفضل عن ذوي الحاجة منا حتى ينقلها إلى البلاد النازحة . ونرصد بعد ذلك منها جانباً لما يعزو من حادثة أو يطرق من جائحة . فلك من ذلك ما يزيد على كفايتك . ويفضل عن مقدار حاجتك . فشكر وصلّهم وقبل بذلهم ، وأقام عندهم مدةً يُعلّمهم فرائض الدين وأحكامه ويبين لهم رسومه وينير لهم أعلامه .

فبينما هو ذات يوم يجالساً في ظل فنائه . وعنده منهم من لا يحششه من أودائه^(٢) . إذ سمع في ظاهر القرية ضجةً ارتفعت لها الأصوات . وصيحة قد علت حتى أسمعت الأموات . واستطار لها من الغبار ما كاد يحجب ضوء الشمس عن الأبصار . فسأل عن تلك الضجة ، وما سبب تلك اللجة . ف قيل له وصول الأعلاج^(٣) . الذين

(١) كلاً: ثقلاً.

(٢) أودائه: خلاصاؤه.

(٣) الأعلاج ج . علاج : يُطلق على غير المسلمين . وأثناء فترة الحروب الصليبية =

يجبون للملك الخراج^(١)، ومطالبتهم بالضيفة المجيفة. وسومهم الأمور المتخوفة، وتوظيفهم على الناس الكُلف الشاقة. وأخذهم كلاً منهم بما لا تنهض له به طاقة. واستيداؤهم بعد ذلك بأشد العسف. وحملهم على أحوال الأقرباء ما يلحقها بأحوال أولي الضعف.

فضرب بإحدى يديه على الأخرى. وتنفس تنفس ذوي كبد خرى. وقال ما قدرت أن أعيش إلى أن ابتلي بمثل هذه البلوى. ولا ظننت أني نازل على قوم قد نزلوا من الذل بالعدوة^(٢) القصوى. يا قوم! اجمعوا لي وجوهكم وخياركم. بل هلموا إلى صغاركم وكباركم. أبصركم من العمى. وأجلو عنكم من العار هذه الغنى^(٣). فاجتمع إليه من الحي آباؤه وأبناؤه. وأقبل إليه منه رجاله ونساؤه.

فلما تكاتفوا بين يديه، قام فيهم قائماً على قدميه. وبكى حتى أبكى من حضر إليه. وقال: يا قوم! ما ظننت أنكم من الذل بهذه المثابة. ولا تحققت أنكم نازلون من الخسف بهذه الخطة يا هذه العصابة. ولو علمنا أنكم ممن يغمض على هذا القذى ويغض [السريع]:

أطلقت صفة الأعلاج والمُلوِّج على المقاتلين الأوربيين. وهي في هذه القصة تطلق على موظفي الدولة من جامعي الضرائب. قال ابن لنكك البصري (الوافر):

مضى الأحرار وانقوضوا وبادوا وخلفني الزمان على علوج
شعر ابن لنكك البصري، نج. ٥. زهير زاهد، منشورات الجمل (المانيا، ٢٠٠٥)، ص ٤٠.

(١) انظر شروط كاتب الخراج في سلوك العالك، ١٩٨. وأحصى المؤلف ثمانية شروط تُشكل واجبات المسؤول عن الخراج.

(٢) العدو: المكان المتباعد. (٣) الغنى: الكرب.

لكان لي مضطرب واسع في الأرض ذات الطول والعرض^(١)
 فعلام تلقون بأيديكم؟ ولم لا تُرخصون العار عن نواديكم وتمنعون
 الضيم عنكم وعمّن يحل بواديكم؟ وختام تخشعون في الجواب
 لمن يناديكم وتتقون ما تنوهمونه من العواقب بالتفريط فيما
 تتحققونه من مناديكم؟ هل بعد هذا العار من عار؟ أم بعد هذا
 الصغار^(٢) من صغار؟ أي شيء أعظم من قتلك الحريم واصطلام
 الأموال؟^(٣) وأي نكال أشد منزلة من الفضيحة تخشون أن يُسمى
 بكم إليها ويُرتقى؟

فقالوا له: والله لقد صدقت فيما نطقت وما صدف عن الحق
 فيما وصفت. ولكنها الطاعة التي لا يجوز مخالفتها والجماعة التي لا
 يسوغ مفارقتها. والسلطان الذي لا يسع الامتثال أمره. ولا يتسع إلا
 الدخول تحت عدل حكمه وجوره. فقال: أما علمتم أنه لا طاعة
 لمخلوق في معصية الخالق^(٤). وإن المكثّر لسواد الفساق هو على
 الحقيقة لجماعة الحق مفارق. إن هذا إلا عذر الدليل، وإن المقيم
 بينكم لأضل منكم عن سواء السبيل.

قالوا: فماذا الذي به تأمرنا؟ وما الذي تشير به ليقف عنده
 تقدّمنا وتأخرنا؟

(١) البيت للخطاب بن المعلّى في: عيون الأخبار ٣: ٩٥ بهجة المجالس،
 ٧٦٧: المناقب، ٣٥٢، رقم ١٢٢٨ (وفي المناقب تنزيجات أخرى).

(٢) الصغار: ميل في الوجه.

(٣) اصطلام الأموال: نهبها.

(٤) هذا حديث رواه مسلم في: الصحيح ١٤٦٩/٣، والماوردي في: نصيحة
 الملوك، ٣٥٩.

قال: إن أردتم أن ينحسر عنكم هذا الداء ولا يسري. فاتبعوني وأطيعوا أمري.

قالوا: لن نبرح على طاعتك عاكفين. ولن نرانا بعدها بشيء من أمرك مخالفين.

فقال - بأبي أنتم - إن وفيتم بما صممت. وسترون عاقبة يضحى لكم إن شكرتم وأمتتم. والذي أرى لكم أن تجمعوا كيدكم وتوفروا قوتكم وأيدكم. وتعلموا جدوى^(*) هذه القضية والآثام. وتغسلوا عنكم عاراً قد سدك^(١) بكم على طوله الأيام.

قالوا: وكيف لنا بذلك والأهواء متفرقة، والآراء غير متفقة. وليس لنا رأس تجمعنا سياسته. ولا رئيس يضم فئونا رئاسته؟
فقال: علي جمعكم ما اجتمعتم. والقيام بأمركم ما تجمعتم وأطعتم.

قالوا: قد قلدناك أمورنا. ووقفنا على حسن نظرك تدبيرنا. فلن نجد منا من له على حكمك اعتراض. فأقض ما أنت قاض.

فقال: إنه بلغني أن كل واحد من هؤلاء الفسقة، نازل منكم على واحد. وإنه قد كلفه ما لا يطيقه فهو لأجله قائم قاعد. فإذا أقبلت عساكر الليل ترى. وأخذ كل واحد منهم يغط غطيطة^(٢) البكر^(٣) في مضجعه سُكراً. فليدخل كل واحد منكم على ضيفه مشتملاً بسيفه. وليسقه كأس جمامه^(٣) بدلاً من كأس مُدامه. وليعاجله

(*) في الأصل: جلوى، ولا معنى لها هنا.

(١) سدك: لحق.

(٢) غطيطة البكر: لم أجد هذه الكتابة في مصادري.

(٣) الجمام: الموت.

بانتقامه قبل هبويه من منامه . فإذا أتيتهم على آخرهم وكبكبوا في النار على مناخرهم . أخذتم سلاحهم وكراعهم ^(١) وأقدتم ^(*) سلبهم ومتاعهم . فأصبحتم وقد عدتم أهل بأسٍ وتَجَدَّ بعدما كُنْتُمْ أهل بؤس وشدة . وذو قوة ومنعة بعدما كُنْتُمْ أولي وهنٍ وصرعة . فنجا منكم الأعداء . وتجاوبت بفعلكم الأصدقاء . واجتمعت على مودتكم الأهواء . ولم تذكروا في محفل إلا وقد ذكرتهم الأنواء . وتحقق السلطان أنكم حماة الحقائق وفارجو المضايق وفاتحو المغالتي وسابقو البوائق ^(٢) . فنزل من الحُكم على مرادكم ، وقررتُم وادعين في بلادكم . واعلموا أنه لا يتم لكم ذلك كل التمام . ولا ينتظم لكم كماله أكمل انتظام . إلا باتفاق أهل القرى المجاورين لكم السالكين في البأساء والضراء سبلكم . فإنهم إخوانكم وأعوانكم وجيرانكم وأخذانكم . فإذا حصل بمشيئة الله منهم الوفاق . ووقع بينكم وبينهم الاتفاق . قويت شوكتكم واشتهرت فيكم ، فمدوا أيديهم فبايعوه وضمنوا له أن يؤازروه في كل أمرٍ وتابعوه .

ثم كتبوا إلى مجاوريهم بما اجتمع عليه رأيهم . ورأوه من الصلاح لأنفسهم ولهم . فوردت أجوبتهم بالاجتماع على ذلك والاتفاق والإجماع على بيعة الشيخ والأصفاق ^(٣) . وتواعدوا أن يكون ذلك منهم في الليلة القابلة . وأن تكون أيديهم الفاعلة مصدقة

(١) الكراع: البقر والغنم وما شابهها.

(*) هكذا في الأصل المخطوط والمعنى واضح ، والدقيق أن يقول: وقد أتم، أو وقد تم.

(٢) البوائق ج. البائقة وهي: الداهية.

(٣) الأصفاق: مبايعة الشيخ.

لألستهم القائلة . فما انفجر ضُبح تلك الليلة إلا والقوم صرعى كأنهم
﴿أعجاز نخل خاوية﴾^(١) تمتاز لحومهم^(٢) السباع العادية والذئاب
العاوية . فهل ترى لهم من باقية؟

فلما تم للشيخ مراده وسرّ ببلوغ أمله فؤاده ، جمعهم وقال :
اعلموا أن الله سبحانه قد منّ عليكم بما لم يكن لكم في حساب .
وأوردكم بلطفه وجوده مناهل كرمه العذاب . وأنجاكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب . فاشكروا له أن جعلكم بعد الذلّ أعزّة .
وكثّر جمعكم بعدما كنتم للطارق نهزة^(٣) . وأغناكم بجوده بعد الفاقة .
ورزقكم فوق الحاجة وكلفكم دون الطاقة . فإن الشكر ضامنٌ للمزيد .
وكافلٌ للنعم بالتأييد والتخليد . وقد أقدمتم على فعلٍ إن تقاعدتم عن
إتمامه ولم تحصّدوا عقد قتله وإبرامه ، كنتم كقواطع ذنّب الأفعى
وتاركها عائدة إليه بالشرّ تسمى . وكأنكم بعساكر السلطان وقد أقبلت
إليكم كقطع الليل فأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيال^(٤) . واذكروا ما كنتم فيه بالأمس من التصرف تحت أحكام
العلوج^(٥) . وما صرتم إليه في نومكم من التقلب على متون السروج .
وما فقدتم من الدّل في مكابدة الأغلال والقيود . وما وجدتم من العزّ
تحت ظلال السيوف وأفياء البود [الخفيف] :

(١) سورة الحاقة الآية ٧ نضها : ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل
خاوية﴾ .

(٢) تمتاز لحومهم : تنهش لحومهم .

(٣) النهزة : الفرصة .

(٤) سورة الأنفال ، ٦٠ : وأعدّوا .

(٥) العلوج أو الأعلاج : مز التعريف بهم ، ص ٩٤ - ٩٥ .

فاطلبوا العز في لظى وذروا الذل ولو كان في جنان الخلود^(١).
 فقالوا له: لقد كنا في غفلة من هذا. حتى استنقذنا الله بك
 من هوة الذل واستخلصنا. ونجانا بيمين بركتك من فتنة الظلم
 وخلصنا. فاشتدت بحمد الله منا القوى والسواعد. وتوطدت من
 عقائدنا البناء والقواعد. فلن نألوا جهداً في طاعتك التي هي على
 الحقيقة طاعة ربنا ووليّنا. ولن ندخر عنك وسعاً في جهاد عدو الله
 وعدونا.

فأنى عليهم ثناء بعث به نشاطهم. وشكرهم شكراً أحكم به
 عقدهم ورباطهم. ولم يكن بأسرع من أن اتصل بالملك عما حلّ
 بعسكره الخير. ونما إليه ما نالهم من القتل المبير^(٢) فشق ذلك عليه
 وكبير. فاستدعى ذوي الآراء من وزرائه وأولي العزائم من قواده
 وأمرائه. فقص عليهم نبا الواقعة^(٣)، وأعلمهم ما ورد عليه من ذلك
 مما قد أغشى ناظره وأصم سمعه. فكل أشار بمعالجتهم. وأن لا
 يهمل أمرهم. فيسري الخلل إلى الدين في مجاورتهم. فدعا من
 جلسته^(٤) عظيمًا فضم إليه جيشاً مجراً^(٥). وأمرهم أن لا يخالفوا له نهياً

(١) البيت للمنتبي من قصيدة مطلعها: *يوم رمي*

كم فتيل، كما قتلت شهيد بياض الطلى وورد الخدود.

انظر: ديوان المنتبي، ٨٤ (ط. بغداد) وفيه: فاطلب. . وذو.

(٢) القتل المبير: الشديد.

(٣) الواقعة بالحرب: صدمة بعد صدمة، والاسم: الواقعة ووقائع العرب: أيام
 حروبها. ويستخدم العراقيون اليوم كلمة (دكة - بالكاف الفارسية) للتعبير عن
 الواقعة، وأشهر الوقعات في العراق المعاصر: دكة رشيد عالي الكيلاني.

(٤) جلسته: المقربون منه ممن يجلسون في ديوانه.

(٥) مجراً أي: جراراً كثيفاً.

ولا يعصوا له أمراً. وقال له: سر إلى هذا البغاث^(١) المستنصر. وصر إلى هذا الجمع الذي هو غير مستنصر. فخذهم في الجوامع والكبول^(٢). وأسرع إليهم الرجوع والقول. فإن عاصوك معصاة المشافق^(٣). وأبدو لك صفحة الغادر المارق. فاستأصل منهم الشافة. ولا تأخذك بهم في دين الله رحمة ولا رافة.

فسار من ساعته لا يلوي على شيء ولا يعرج. ولا يتورع عن قتل من لقي في طريقه ولا يتحرج. حتى نزل بساحتهم. وحل يحبو خذ باحتهم. فلما أعلم بهم أهل القرى أقبلوا نحوهم مهطعين^(٤). وجاءوا إليهم مسرعين. قد استلاموا وتلبوا^(٥). وتألفوا وتحزنوا. يقدمهم الشيخ وفي يده عصاه. ويسير أمامهم محرّضاً على جهاد من حاد الله وعصاه.

فلما ترأى الجمعان قال لهم أهل القرى: يا هؤلاء فيم أتيتم؟ وعلام أسستم أمركم وبنيتم؟ قالوا: جئنا لردكم إلى الطاعة التي خلعتكم ربقتها. وإعادتكم إلى الجماعة التي فارقتم طريقتها. وتنعكس ما قد رفعتموه للشقاق من رأيه. والإهابة بكم إلى خضرة السلطان لينفذ فيكم حكمه ويرى فيكم رأيه.

قالوا أتى يكون له الملك علينا وقد مرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية؟ وسلط المشركين على أهل العصية لله والحمية؟ وعطل الحدود المشروعة وفارق السنن المتبوعة؟ فليس له عندنا إلا الجهاد الذي نعده فرضاً علينا حتماً. والقتال الذي نمضي عليه قدماً

(١) البغاث: الطير الجارح. قال الجاحظ: «بغاث الطير ضعافها». الحيوان ٧/ ٦٠ - ٦١ (ط. هارون).

(٢) الجوامع والكبول: القيود. (٣) المشافق: الخائف.

(٤) مهطعون: مسرعون خائفون.

(٥) استلاموا: لبسوا اللأمة للذرع، وتلبوا: جمعوا ثيابهم استعداداً.

ونرى الموت في سبيله غنماً.

فلم يردّ عليهم مقدّم الجيش^(١) الجواب إلاّ بجملةٍ احتمل فيها من أوزاره ما احتمل. وثبت له أهل القرى فكانت الدائرة عليه فقتل من أصحابه أضعاف ما قُتل. ونزل بهم الخذلان فولّوا الأدبار وظنّوا أن النجاة في الفرار. فأخذتهم السيوف من كلّ مكان. ولم تكن إلاّ ساعة حتى دخلوا في خيبر كان. ولم ينجُ منهم إلاّ [قل] يسير^(٢) كانوا يريد الخبر. والناقلين عن أصحابهم ما حلّ بهم من تصاريف الغير. واستباح أهل القرى ما خلفوه في معسكرهم بعد الهزيمة من غنيمة. وحصلوا من الأسلحة والأمتعة على كلّ خطير ذي قيمة. وعادوا إلى قرارة دارهم ومحل استقرارهم وقد ملأوا من الأسلاب حقائبهم وأنقلوا بالأنفال ركايبهم. أشدّ ما كانوا استيساداً^(٣) وضراوة. وأعظم ما كانوا على أعدائهم غلظةً وفساوة.

فلما صاروا في مجمع ناديمهم ومجتمع حاضرهم وباديهم. أقبل عليهم الشيخ وقد برقت بالسرور أساريه. ولاحت على وجهه من البشر تباشيره. وقال: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون؟ فاتقوا الله وأطيعون. ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون^(٤). فخزوا له سجداً للأذقان.

(١) مقدّم الجيش: ديوان الجيش، ناظر الجيش، وثمة مصطلحات أخرى، كلها تشير إلى قائد الجيش. قال "السبكي" إنّ من يتولى الجيش ويجرّه له، يجب أن تكون فيه المصلحة والكفاية والقدرة. انظر: معيد النعم ومبيد النقم، ٣٣ - ٣٤.

(٢) قل يسير: مجموعة صغيرة وكلمة "قل" غير واضحة في الأصل.

(٣) الامتيساد: نسبة إلى الأسود.

(٤) سورة النمل، ٤٨.

وخنعوا له بالاستكانة والإذعان.

فقال لهم: كونوا من الله على مواعده من النصر لن تخلفوها فليورثنكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها^(١).

ولما وصل أولئك الفل إلى السلطان وأخبروه عما لقي أصحابه لا عن الخبر بل عن العيان وعرفوه ما رأوه من الشيخ المحتسب، وبلوه من الزاهد المعتزي^(*) إلى الدين المنتسب، عض على أنامله حتى كاد يشرق منها بالدم. وندم على ما فرط فيه من قتله ولكن أي ساعة ندم! واعتبرته لوقته شدة [....]^(**) وتمثل نفسه بصورة من سلف من الأذواء^(٢). ولأمله حيثئذ من كان من قبل على سوء صنيعه وعنفوه على ما كان من تضجيعه في أمره وتضجيعه، ثم أخذ في تجهيز العساكر نحوهم وتسريبها. وتصريف الآراء في بابهم وتقليبها. فما توجه إليهم بعدها عسكر إلا كُسِر. ولا سارت له نحوهم سرية إلا قتل كل من فيها أو أسر. هذا وهيبة الملك ثقل والأحوال تتلاشى وتضمحل، والآراء تختلف. والتدبير يسوء فلا ينتهي عند حد من الفساد ولا يقف. إلى أن بلغ الكتاب أجله، وسبق القضاء كل ريب وعجله. واستوفى الأكل آكله، ففقر له الموت فاه فأكله.

واجتمع بقية أهل القرى والأطراف على عقد راية الخلاف. وساروا إلى الفتنة الخارجة فكانوا لها عضداً. واجتمعت أيديهم المتفرقة فصارت يداً. وأجمعوا بما رآه لهم الشيخ على قصد مدينة

(١) الإشارة إلى هذه الآية: «وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها» الأحزاب، ٢٧.

(*) المعتزي إلى الدين: المتعصب بأعقاب الدين.

(**) كلمات غير واضحة في الأصل.

(٢) الأذواء جمع ذو، وهم مجموعة من الملوك.

السلطان لحصارها. وإزالة الدولة التي كانت تزهي على الدول بكثرة أتباعها وأنصارها. فنزل بهم الشيخ عليها في عساكر لا تُعدُّ جموعها، وعشائر ضاقت بهم من تلك النواحي رُبوعها. ولم يزل يراوحها القتال ويعاديها ويمنعها المرافق التي يترفق بها من فيها إلى أن ضاق بهم الجناق وكلت منهم القوى وضُغفت الأرقام^(١). فصاح بهم ضيعة واحدة ما لها من قواق. فأذهلت كل مرضعة عن طفلها. وأسقطت كل حامل ما أوجته من حملها * ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها^(٢). ففرى أديمها^(٣) واستباح حرَمها وحرِيمها. وعم بالقتل [صغيرها]^(*) وكبيرها وصحيحها وسقيمها. ثم احتوى على قصر المملكة واستوى على سرير مُلكه. وأصبح جَدلاً بما قد ظهر لاتباعه من معجزات صدقة ومعضلات فتكة. وزاد فيما كان يُظهره في جبله^(٤) بزهده ونُيكه ليحسم بالمبالغة في الخُسونة عن كل منهم مادة ريبه وشكّه.

وخرج سلطان المدينة منها خائفاً يترقب. وخلفه من أعدائه خائفاً يتعقب. حتى لجأ في نفر يسير من خاصته إلى بعض معاقله التي كان يُعدها لهمامه. ويعتدّها عصمة عند طروق مثل هذا الحادث وإلمامه. وتبعه الشيخ في جيوش فانت مدى العذ والإحصاء. مجدداً في طلبه لا يألو جهداً في الإيغال والاستقصاء. حتى لحق بالمعقل

(١) الأرقام ج. رمق، وهي: بقية الحياة.

(٢) سورة القصص، ١٥.

(٣) فرى أديمها: شق ما ظهر من السماء والأرض.

(*) الكلمة غير معجمة في الأصل.

(٤) جبله: طَبْعُه.

الذي تحصّن بامتناعه. فأحاط به إحاطة تمنع من [...]»^(١) وانتجاعه. وإذا فهم من خَرَّ القتال أحلامهم شعيراً. وأراهم في كل يوم من أيام النزال ﴿يوماً عبوساً قمطريراً﴾^(٢). ورماهم من وبيل النكال بما حلّ من عزائمهم المعاهد. وجزّعهم من مرارة التضييق ما حقق عندهم من التّصّر أخلاف المواعد. وقذفهم من حجارة المنجنيق^(٣) بما أتى الله به بنيانهم من القواعد. فافتتحها بالسيف عنوة وأحلّ بمن كان فيها بأسه وسطوه. وقرع بقراعه صفاتها وكانت لا تفرّج لها الحوادث مزوة. وأوتي بالملك أسيراً فقتله صبراً^(٤). وأمر بصلبه على باب المدينة فجاء والأمر بذلك شيئاً نكراً. ثم سار إلى بقية المعادل والحصون فأوسعها تضييقاً وخضراً. ومنح في جميع وقائعه فتحاً ونصراً. فاستولى على جميع البلاد قهراً وقسراً. ﴿لا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾^(٥). فكانت هذه - أيها الملك - عاقبة استهانة ذلك السلطان القوي بذلك الفقير الضعيف واستضعافه. وجريرة تفريطه فيما كان من استهزائه بأمره واستخفافه. فلا تحقرن - أيها الملك - ضعيفاً لضغفه ووهنه. ولا تستصغرن صغيراً ولو أفرط

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الآية كاملة: ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ الإنسان، ١٠.

(٣) المنجنيق: آلة لرمي الحجارة والكلمة معربة من 'جه نيك'، أي ما أجودني أو أنا شيء جيد. وثمة عدة كتب قديمة وصلت إلينا من العهد المملوكي وما بعده تتناول هذه الآلة.

(٤) القتل صبراً: نصب الإنسان للقتل. وقد نهى الرسول - صلوات الله عليه - عن صبر ذي الروح. والضير: الحبس. انظر التفاصيل في: موسوعة المذاب لعبود الشالحي، ٤: ٢٤٧، ٥٤١.

(٥) سورة الطلاق، ١.

في حادثة سته، لا سيما إذا كان ذلك الضعيف بأهل الصلاح متشبهاً. وبدعاوى العلم والزهد والورع ممخرقاً^(١) مموهاً. فإن ذلك هو السم الذي يدب بلطفه في الأعضاء ويسري. ويسرع في هلاك صاحبه وهو لا يدري.

[ولي العهد^(٢)]

فلما انتهى الكلام بها مع الملك إلى هذا الحد. وعرف حسن تصرفها في فنون الهزل والجذ. قصر عليها نظره ووفر لها من وقته أكثره. فوهبه الله منها غلاماً ذكياً، وأخرج له من صلبه وتراثها^(٣) بشراً سوياً. فعظم به سروره وسرور أهل مملكته وتحققوا بقاء الملك في عقبه وذريته.

فلما تجاوز الغلام حد الطعام واحتملت قوته نقل الشراب والطعام، قالت له: أيها الملك إنه ينبغي لك أن تحضر لولدك جليساً^(٤) فاضلاً. وترتاد له حكيماً^(٥) عالماً عاملاً. ممن عُدّي

(١) المسخوق: دهشاً حياً.

(٢) خصص الشعلي فصلاً كاملاً لأولياء العهد وكيفية تربيتهم (انظر له: أخلاق الملوك)، وكذلك فعل الشعلي (آداب الملوك)، وابن رزين الكاتب (آداب الملوك).

(٣) التراث سبق تعريفها، ص ٥١، ولاحظ سورة الطارق، ٧.

(٤) العلي: هو النديم وينبغي أن تكون له ثقافة موسوعية وأفرد له الشعلي فصلاً في كتابه: أخلاق الملوك، ٤٩ وما بعدها؛ كذلك فعل الشعلي في كتابه آداب الملوك، ١٤٦؛ وابن رزين في آداب الملوك، ١١٤. وانظر: أدب النديم لكشاجم، ٧٠ - ٧١.

(٥) الحكيم: هو الطبيب. انظر: آداب الملوك للشعلي، ٤٤ - ١٤٦، وآداب =

بنعمتك، ونشأ في ظلّ دوحتك. ليعرف من الصغر ويستغني لكثرة الخبر. بتفاصيل أحواله في كثير من الأوقات عن العيان بالخبر. فيقرر له من الأغذية ما يلائمه لتدوم به صحته ويقدر له من الحركات والحمية ما تحتمله لتستمر به مصلحته. فإذا بلغ سنّ التعليم. واحتاج إلى التبصير والتفهيم. وجب أن نلتمس له جليساً صالحاً ورعاً. متفناً في العلوم متوسعاً. فيكون ذلك طبيباً لجسمه. وهذا طبيباً لنفسه. وذاك عنايته بتدبير أحوال بدنه. وهذا همته في تنوير قلبه للاهتمام في الترقى إلى محل قدسه. وينبغي أن تتقدّم إليه بطاعة كلّ منهما وتوفير حظّه من الإكرام. وأن يخصّ بالريادة من ذلك جليسه لفضل طبّ النفوس على طبّ الأجسام. وتأمّر جليسه بأن يجعل له وقتاً مخصوصاً لتعليمه وقدرًا من الزمان معيناً لتأديبه وتقويمه. وأن لا يشغل زمانه كلّهُ بفنون الجد. ولا يحمل على قريحته ما لا تطيقه فيبهظها^(*) بكثرة الكد. فإن القلوب إذا أكرهت عميت. والقرائح إذا لم تروّح تبلدت وفسدت. والملك إذا لم يكن له حظّ من العلوم كان ناقصاً في نفوس رعيته. ولم يكن للأداب والفضائل عنده سوق لفقدان أهليته. ومن سعادة جدّ الملك أن يكون له وزير^(١) صالح

= الملوك لعلّي بن رزين الكاتب، ١٢٣ (أشار "ابن رزين" إلى تأليفه كتاباً في طبّ الملوك لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا).

(*) في الأصل: فيبهضها - بالضاد - خطأ.

(١) الوزير: اختلف في اشتقاق الكلمة. والوزارة ضربان: وزارة تفويض تجمع بين كفايتي السيف والقلم، ووزارة تنفيذ تختص بال رأي والحزم، ولكل منهما حقوق وشروط. للتفاصيل، انظر: قواطين الوزارة وسياسة الملك للماوردي، تح: د. رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م؛ والمنهج المملوك للشيزري، ٢٠٠ - ٢١٨.

ومشير^(١) ناصح. وجليش مغاد^(٢) له بالحكمة مراوح. وطبيب لأدواء جسمه ناصح.

ف فعل الملك ذلك بولده. فنشأ من الأخلاق الجميلة على ما دل به على طهارة مولده. وظهر فيه من مخايل النجابة ما كان كالطبيعة لما يستقبله من النجاح في عُده. وصلاح بعد ذلك لأن يؤهل بعده للاستخلاف. واستحق ولاية العهد بما ارتفع في فضله من الخلاف.

[أم الملك]

فقال الملك يوماً لأمه - وقد سرته وتمكنت من قلبه بما وصلته به من هذه النصائح وبرته -: إني أريد أن أجعله لأقوال العلماء مُطالِعاً. ولهم في أخلاقهم وآدابهم متابعاً. فما الذي ينبغي أن يُقتصر به من ذلك عليه. ويلزم الاشتغال به لتكون همته مصروفة إليه؟

فقالت إنه قد أخذ بحمد الله من علوم الدين بالحفظ الأوفر. واهتدى بأنوار هذا فبصر بعدما استبصر. والإكثار ربما أمل وأضجر. والعلم أكثر من أن يُحصى فخذ منه بأحسن ما يُروى ويؤثر. وقد أهله لأمر فينبغي أن يكون شغله في هذا الوقت بما ينتفع به فيه. وإلزامه بحفظ ما هو مفتقر إلى العمل به في وقت توليه.

(١) المشير: هو المستشار، والكلمة مأخوذة من قول العرب شرت الدابة، وشورتها إذا علمت خبرها. انظر: صيون الأخبار ١: ٣٦؛ آداب الملوك للشعالبي ٩١ - ٩٤؛ المنهج السلوك للشيزري، ٤٧٥ - ٤٨٢؛ الشهاب اللامعة، ١٦٢.

(٢) مغاد: مشهور ومعروف.

[الإسكندر ومعلمه]

وقد بلغني أن الإسكندر^(١) قال لمعلمه^(٢): اصنع لي شيئاً في السياسة أتعتمد عليه في أمر الملك. فصنّف له في ذلك كتاباً طال عليه مطالعتها وعسر عليه لكثرة الأشغال معاودتها في كل وقت ومراجعتها. فسأله أن يختصر له قولاً وجيزاً يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل. ويجد السامع له على اختصاره ثلج الصدور وبرد الغليل. فاختصر له هذه الكلمات. فلم تزل تحت وسادة الإسكندر يلاحظها في كل وقت إلى أن مات. وهي^(٣):

- العالمُ بستانٌ سياجُه الجَلَّةُ. الجَلَّةُ شريعةٌ يقومُ بها المَلِكُ.

- الملكُ راعٍ يعضده الجيشُ.

(١) الإسكندر بن فيليبس بن مصرم المقدوني من أشهر القادة في عصره. انظر أخباره في مروج الذهب (استشر الفهارس). وشرح المصريون سنة ١٩٦٠ في حفريات تهدف إلى إظهار قبر الإسكندر في مدينة الإسكندرية. ولاحظ ثمار القلوب (استشر فهارس طبعة إبراهيم صالح) ومختصر تاريخ مدينة دمشق (الجزء الثامن)، ونزهة الأرواح، ٢١٧ وما بعدها.

(٢) معلم الإسكندر: هو أرسطوطاليس (ت ٣٢٤ ق.م): فيلسوف شهير من بلدة قونية من كتبه: السماع الطبيعي، الجواهر والأحجار، السياسة. وانظر: أرسطو عند العرب لعبد الرحمن بدوي.

(٣) ترد في مصادر عديدة بينها: عيون الأخبار؛ ومروج الذهب ١/٢٩٠؛ نشر الدرر، ٢٤١ بلا تحديد؛ العقد الفريد ١: ٢٤؛ بهجة المجالس ١: ٣٣٧؛ لباب الآداب لأسامة بن منقذ، ٢٧؛ التذكرة الحمدونية ١/٤٠٧؛ الشهب اللامعة، ٤٣١؛ سياسة الملوك للماوردي، ١٢٣؛ آداب الملوك، ٨٣؛ حيوان الحكمة، ١٦١؛ مختار الحكم، ٢٤٤؛ سرح العيون لابن نباتة ضمن سيرة الإسكندر بن فيليبس، ٦٣ - ٧٠.

- الجيش أعوان يكفلهم المال . المال رزقُ تجمعُه الرعية .

- الرعية عبيدُ يسترَقهم العدل . العدل مألوفٌ به قوامُ العالم .

ثم شرح الحكيم هذه الألفاظ فقال بإزاء هذا المقصد العالم هم : الأمم المجتمعة في الأمصار المشتملة عليهم أكناف الأقطار . والملة هي الشريعة التي بها يدينون ، وإلى أوامرها وأحكامها في أحوالهم وتصرفاتهم يرجعون . فمثلُ العالم بالبُستانِ المشتمل على أصناف الأشجار التي هي صنوان^(١) وغير صنوان كما اشتمل اسمُ العالم على الناس المختلفي الأنواع والأجناس . وشبه الشريعة^(٢) بالسياج على البستان ، وهو الحائط الذي حوله وقايةً وصواناً ، لأنها تحوطهم بلوازم أحكامها عن مهاوي الزلل . وتصونُ تصرفاتهم بجوازِم أوامرها عن مواقع الخلل . وتكف يد الظالم عن اعتدائها . وتعز نفس المظلوم بعد اشتغالها بالذل وارتدائها . وبأنوار هدايتها تستنير مشارق العقول . وبالأخذ بفرائضها وسُننها يكون البلوغ إلى السعادة الأبدية والوصول . فلو لا الشريعة اشتمل الفساد وعم . وانتشر الضلال فلم يجمع أطرافه ولم تضم . ثم تبين أن الملة لا تقوم إلا بقائم يحفظ نظامها ويقيم حدودها . ويعقد أحكامها ويحرس من الخلل قوانينها وأوضاعها . ويقوم بالتأديب من أهمل حقوقها وأوضاعها . وهو الملك الذي يذب عنها بسوطه وسيفه . ويمنع منها كل عادٍ يريدُها بحنفيه^(٣) وحيفه^(٤) .

(١) صنوان : الأخوان ، والصنو الأخ الشقيق والابن والعم . سبق تعريفها ، ص ٧٩ .

(٢) هذه الكلمة ليست معجمة في الأصل .

(٣) الحنف : المال .

(٤) الحيف : الجور والظلم .

ثم اعلم أنه لا يمضي له حُكْم ولا ينفذ له عَزْمٌ إلا بالجيش الذي يقهرُ به مَنْ عاندَه وناواه. ويردُّ به إلى الدِّين من عاداه وقاواه^(١). فقال: والملك راع يعضدُه الجيش. ثم بيَّن أن الجيش^(*) لا تستقيمُ أحوالهم ولا يقومُ أودهم واختلالهم إلا بالرزق الذي يُغني فاقَّتْهم وتكفيهم إضاقتهم. لأنه ليس لهم غير الحربِ صناعة. ولا سوى مقاومة الأعداء حِرْفَة يشتغلون بها من تجارةٍ أو اعتقادٍ عقده بضاعة. فوجب أن تكون أرزاقهم دازةً موفرة. ونفقاتهم في وقت استحقاقها تامةً غير متاخرة.

فقال: والجيشُ أعوانٌ يكفلهم المال. ثم بيَّن أن المال لا يحصلُ إلا بواسطة تحصيل الرعية. فإنهم الذين يحرثون ويزرعون ويتعاطون الأسباب التي بها يثمرون المال ويجمعون. فقال: والمال رزقٌ تجمعه الرعية. ثم بيَّن أن الرعية لا يجمعون^(**) إلا بالعدل. لأن الظلمَ يدعُ الديارَ بلاقع^(٢) فيهلك الحرث والنسل. وإذا فشا الظلمُ في قُطرٍ من الأقطارِ متعت السماء - والعياذ بالله - درها^(٣)، وخبيست الأرضُ عنه خَيْرَها. وانقطعت عن وروده السقار، وتحامى قصده أرباب الأموال من الثجار. وعزَّ فيه وجود ما هو مبتذلٌ في غيره. وانجلى عنه أهله قُرُفاً^(٤) من شرِّه وبأساً من خيره.

(١) قاواه: من القوة.

(*) الأصوب أن يقول: أفراد الجيش أو: إن الجيوش لا تستقيم أحوالهم...

(**) الأصوب أن يقول: لا تجتمع.

(٢) بلاقع ج. بلقع: أي الأرض القفر الخالية.

(٣) درها: المطر.

(٤) الفرق: الفزع والخوف.

فقال: والرعية عبيدٌ يسترقهم العدلُ. فصارَ العدلُ للملك أساً عليه الاعتماد وسبباً قوياً في حياة العباد وعمارة البلاد.
فقال: والعدل مألوف به قوام العالم.

[أعوان المَلِك]

ثم قالت له: أيها الملك! أدام الله سرورك ولا أخلى منك سريرك^(١). إنَّ المَلِك لا تتسَع أوقاته لمباشرة جميع الأحوال بنفسه ولا يدُّ له من أعوانٍ يحملون عنه ما تعجزُ قوته عن حمله. فإن كلف نفسه فوق طاقتها بطلت. وإن وقف الأحوال كلها على نفسه وقفت وتعطلت. وهو يفتقرُ في إقامة الشريعة إلى قاضٍ^(٢) عالم بأسرارها. مطلع على غوامضها وأغوارها. بصير بالحكمة في موضوعها. متقن للعلم بأصولها وفروعها. خبيرٌ ذي دربة بتنفيذ الأحكام. عارفٌ بسياسة أخلاق الخواص والعوام. بعيدٌ من الهوى. لا يطمع القوي في ختله^(٣). ولا يبتسُ الضعيف من إنصافه وعدله. ورعٌ لا تعلق به الدنيا والمائم. ذي هيئة يكتفي بها المظلوم في انتصافه من الظالم.

مركز حجة الكويت علوم إسلامي

- (١) السرير هنا: العرش.
- (٢) القاضي: كان القضاء من الوظائف الرئيسة في الدولة. وكان فقدان النظام القضائي، واقتصاره على الحكام عند عرب الجاهلية، من أبرز نقاط الضعف في الجاهلية، وقد اهتم الرسول بمعالجتها منذ أن هاجر إلى المدينة. وتابع الخلفاء الراشدون والأمويون العناية بأمر القضاء، وأولى الخلفاء العباسيون القضاء اهتماماً خاصاً، فأوجدوا منصب "قاضي القضاة" ببغداد، وكانوا هم الذين يُعيّنون القضاة. انظر كتاب أخبار القضاة لوكيع (ت ٣٣٠هـ)، ط. عالم الكتب - بيروت (طبعة مصورة).
- (٣) ختله: خدعه.

فمضى ظفر به الملك فهو من إقبال جده وكمال سعيه. ويحتاج في أمر جيشه إلى مقدم^(١) مقدم. عالم بمكائد الحروب بالمباشرة، غني عن الاستعلام. حسن السياسة لقلوب الرجال. عارف بشرائع المحاوراة وشروط القتال. خبير بالنظر في أحوال الأجناد. شديد الأخذ لهم بأن يكونوا في جميع أوقاتهم على أتم أهبة وأكمل استعداد. بصير بتفقد الأسلحة والعدة. ثاقب الألمعية في التفرقة بين من يجب ارتباطه وبين من يجب إسقاطه من العدة. كثير المعرفة من الرجال بمواقع التفضيل. شديد النظر في الجمل من هذه الأمور والتفصيل. ويحتاج في تزجية جهات الأموال وتنميتها، وتنمية وجوه الارتفاع وتكثيرها، إلى عمال^(٢) يجمعون إلى الكفاية: الأمانة وإلى النهضة: الصيانة. مقدّرين أمور الاستخراج على أحوال بلا تعسف بالرعية. مقررّين وجوه الأموال والخراج على أوضاع تكون حقوق بيت المال فيها ملحوظة مرعية. متنبّئين^(٣) للنظر في المصالح غير مهمّلين. كاشفين في كل وقت عن أحوال أرباب الضمانات والمعاملين. آخذين بالحوطة^(٤) في جميع ما يتولونه ومن يولونه. سالكين سبيل القصد والعدل فيما يعملونه ومن يعاملونه.

(١) مقدم الجيش: شرحه في الهامش (١) ص ١٠٢ من هذا الكتاب. وقارن

مع الماوردي في نصيحة الملوك، ٣٦١؛ ومختار الحكيم، ١٨٧.

(٢) العمال ج. عامل، يُقابله اليوم الوالي أو الحاكم أو المحافظ الذي يُسمى

اليوم بالموظف الإداري. انظر: نشوار المحاضرة للتوحي ٨ حاشية ٧٦.

(٣) التنبّئ: الغشوع والهيبة.

(٤) الحوطة: من التحوط.

[شروط الوزارة]

وخاتمة ذلك وهو أهم أموره ومهم تدبيره. أن يكون له وزير^(١) ناصح. عالمٌ بوجوه المصالح. كاملُ الآداب والفضائل. مأمونُ العواقب والغوائل. متحلٌّ بالنزاهة [...] ^(*) مبرا من الخيلاء والصلف. قد ظهرت في الدولة آثارُ كفايته واشتهرت مواقعُ [...] ^(**) وكفالاته. وليكن ممّن أنشأته الدولة وغرسته. وربته يد اصطناعها وكفلته وأرضعته درّ إحسانها فما فطمته. فهذا يدأب في مصالحها دأب الساعي لنفسه. ويعمل في سياستها عمل العالم إنه مستثمرٌ لجنى غرسه. لا يؤثر أبداً إلا تشييد منارها وتحسين آثارها. ولا يسعى إلا في توطيد قواعدها ورفع منارها. ويحمل عن الملك أثقال مملكته وينوب منابه في تصريفها. ويعينه على القيام بأعبائها والنهوض بتكاليفها. ويوفر عليه أوقات راحته التي تجمّ قوته وأزمات خلوته التي تشحّد قريحته وتصفّل فكرته. فإن الملك لا يحتمل أن يُخلي لحظة واحدة من حسن النظر. ولا يطيق إهماله طرفة عين عن صواب التدبير العائد بجميل الأثر.

[أسباب زوال الملك]

وقد سُئل بعض من زالت عنه جليلة^(٢) مُلكه وركدت بسوء التدبير رياح مُلكه عن سبب فساد أمره وانضاع قُدْرِهِ. فقال: تأخير

(١) الوزير: سبق التعريف به في الهامش (١)، ص ١٠٧.

(*) عبارة مضموسة في الأصل.

(**) كلمة غير مقروءة في الأصل.

(٢) الجليلة هنا العرش.

ما ينبغي تنفيذه اليوم إلى غد^(١). وإهمال الاستعداد لكل ما ينبغي أن يتأهب له ويستعد. وذلك أن لكل زمان حظه من العمل الذي لا يحتمل سواه. فإذا حمل على اليوم غداً أضرب به وبمن يتغاضاه. فإذا اجتمع للملك وزير ناصح، وقاض ورع صالح، ومقدم جيش خبير بأعمال الحروب ولشروطه حافظ، وعامل أمين مستقل بالعمل ناهض. انتظم أمر دولته واستقام. واستوى على سوق الاتساق^(٢)، وقام. ومهما اختل من هذه الأركان اختل من الملك بقدر ما وهى. ومهما فسد من هذه الشرائط فسد من أحواله على السواء.

[الخاتمة]

فلما تمت هذه الألفاظ وحسن من الملك بها الاتعاض. قال لها: لقد أحسنت فيما أتيت ونظمت الدر ونشرت فيما أمرت به وأشرت. فجزيت خيراً من قرين جُمعت به الخيرات في قرن. ولا زال حكم مراعظك يجلو القلوب ويرحض عنها الدرن^(٣).

ثم أمر الملك فعملت لولده دائرة، سطرت فيها ألفاظ الحكيم. وأضيف إليها الشرح الذي يجرى منها مجرى الأوضح من البهيم. وأخذ ولده بدراسة ذلك وحفظه. والنظر في معاني آدابه وأسرار

(١) قارن بـ: الأسد والخواص، ١٩٨؛ الشهب اللامعة، ٤١٧؛ نشر الدر، ٤/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) الاتساق: سوق. فالمعنى واحد، والسجع هو الذي دفع المؤلف إلى التكرار.

(٣) رحض: غسل، والدرن: النوسخ.

وعظه . فانتفع الولدُ بحفظه لها وسعد . وجعلها تُصبّ عينيه فكان في
التدبير إليها يرجع وعليها يعتمد .

ثمّ كتابُ أساس السياسة

والحمد لله وصلواته على سيدنا "محمد" نبي الرحمة وعلى آله
وأصحابه وسلامه (*)



مركز تحقيقات علوم اسلامی

(*) لم يثبت النسخ اسمه ولم يؤرخ لتاريخ النسخ . ارجع إلى مقدّمة التحقيق .
وكلمة "وسلامه" وضعت فوق السطر ، والمؤلف هنا يقدّم الصّلاة ثمّ السلام
إلى الرسول الكريم وآله وأصحابه .

جريدة المصادر والمراجع

(قائمة متقاة)

- ١ - آداب الملوك لعلي بن رزين الكاتب. تح. جليل العطية، دار الطليعة، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- ٢ - آداب الملوك لأبي منصور الثعالبي، تح. جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت (طُبِعَ بمساعدة منظمة اليونسكو)، ط١: ١٩٩٠م، ط٢: ٢٠٠٦م.
- ٣ - آداب الصحبة وحسن العشرة للسُّلَمي، تح. Kister - القدس، ١٩٥٤م.
- ٤ - أخبار الأذكاء لابن الجوزي، تح. محمد مرسي الخولي، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ٥ - الأخبار الطوال للدينوري، تح. عبد المنعم عامر، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٦ - أخبار الشعراء المُحدثين (من كتاب الأوراق)، تح. هيورث دن (مصورة عن طبعة القاهرة، ١٩٣٤م).
- ٧ - أخبار القضاة لوكيع، تح. عبد العزيز المراغي (مصورة) عالم الكتب، بيروت.
- ٨ - أخلاق الملوك لمحمد بن الحارث الثعلبي، تح. جليل العطية، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣م.

- ٩ - أدب النديم لكشاجم، تح. نبيل إبراهيم العطية، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩٠م.
- ١٠ - أسرار الحكماء لياقوت المستعصمي، تح. سميح صالح، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤م.
- ١١ - الأدهاني لأبي الفرج الأصبهاني، دار الثقافة، بيروت، ط ٦: ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- ١٢ - إنباء الرواة على أنباء النحاة لعلي بن يوسف الفيفي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٣ - الأسد والغواص لمؤلف مجهول، تح. د. رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ١٤ - الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤: ١٩٧٩م.
- ١٥ - أمالي المرزوقي، تح. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- ١٦ - بغداد (كتاب) لابن طيفور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢: ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ١٧ - بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر، تح. د. محمد مرسي الخولي، بيروت، ط ٢، د. ت. ر. س. د.
- ١٨ - نأثير الحكم الفارسية في الأدب العربي، تأليف. عيسى العنكوب، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م.
- ١٩ - تحفة المروس ومُتعة النفوس للتجاني، تح. جليل العطية، رياض الرئيس للنشر، لندن - بيروت، ١٩٩٢م.
- ٢٠ - التذكرة الحمלוئية لابن حمدون، تح. د. إحسان عباس ود. بكر عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٢١ - التذكرة الفخرية لعلي بن عيسى الإربلي، تح. نوري القيسي

وحاتم صالح الضامن، عالم الكتب ودار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٢ - التذكرة الهروية لعلي بن أبي بكر الهروي (مصورة)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٢٣ - تيارات ثقافية بين العرب والفرس، تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣: ١٩٧٨م.

٢٤ - ترويح القلوب في ذكر الملوك: بني أيوب للمرتضى الزبيدي، تح. صلاح الدين المنجد، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩.

٢٥ - إعمار القلوب للشعالي، تح. الأستاذ إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٦ - المجلس والأنيس لأبي الفرج النهرواني، تح. د. الخولي وإحسان عباس، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٧ - الجوهر النقيس في سياسة الرئيس لابن الحداد، تح. د. رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٨ - الحكمة الخالدة لمسكويه، تح. د. عبد الرحمن بدوي، طهران، ١٩٥٢م.

٢٩ - الحماسة المغربية لأحمد بن عبد السلام الجراوي، تح. د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١م.

٣٠ - ديوان ثابت شراً وأخباره، تح. علي ذو الفقار شاكراً، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣١ - ديوان أبي حكيمة (راشد بن إسحاق)، تح. د. محمد حسين الأعرجي، منشورات الجمل، كولن بألمانيا، ط٢: ١٩٩٧م.

٣٢ - ديوان ابن نباتة السعدي، تح. عبد الأمير مهدي الطائي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧م.

- ٣٣ - ديوان بشار بن بُرد، تح. محمد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت، ط٢: ١٩٨٣م.
- ٣٤ - ديوان كشاجم (محمود بن الحسين)، تح. النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ٣٥ - ديوان منصور الفقيه، تح. عبد المحسن فراج القحطاني، دار القلم، بيروت، ١٩٨١م.
- ٣٦ - سراج الملوك للطرطوشي، تح. جعفر البياتي، رياض الريس للنشر، لندن - بيروت، ١٩٩٠م، وطبعة محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية - اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ٣٧ - سياست نامه (مبشر الملوك) لإنظام الملك الطوسي، ترجمة د. يوسف بكار، دار الثقافة، الدوحة، ط٢: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٣٨ - شعر نابط شراً، تح. سلمان داود القره غولي وجبار ثعبان جاسم، النجف، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ٣٩ - شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، تح. د. محمد كشاش، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ٤٠ - شفاء القلوب في مناقب بني أيوب لأحمد بن إبراهيم الحنبلي، تح. د. ناظم رشيد، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٧٨م.
- ٤١ - الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان، تح. علي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٤٢ - صوان الحكمة لأبي سليمان السجستاني، تح. د. عبد الرحمن بدوي، طهران، ١٩٧٤م.
- ٤٣ - الظرف والظرفاء (الموشى) لأبي الطيب الوشاء، تح. فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- ٤٤ - البغد (الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي، تح. أحمد أمين ورفاقه، القاهرة، ط ٢: د. ت.
- ٤٥ - عيون الأخبار لابن قتيبة (مصور عن طبعة دار الكتب المصرية)، ١٩٢٥ م.
- ٤٦ - الفهرست لابن النديم، طبعة رضا تجدد (طهران)؛ وطبعة الشويبي، ١٩٨٥ م (تونس) [لم تتم].
- ٤٧ - الفرج بعد الشدة للتتوخي، تح. عبود الشالجي، دار صادر؛ بيروت، ١٣٩٨ هـ.
- ٤٨ - فرج المهرموم في تاريخ النجوم لابن طاووس، النجف، ١٣٣٨ هـ.
- ٤٩ - قوانين الوزارة وسياسة الملك للماوردي، تح. د. رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط ٢: ١٩٩٣ م.
- ٥٠ - الكامل في التاريخ لابن الأثير (الطبعة الأوروبية).
- ٥١ - الكامل للمبرّد، تح. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
- ٥٢ - ثبَاب الآداب لأسامة بن منقذ، تح. الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط ٢: ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.
- ٥٣ - لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦ م.
- ٥٤ - ما يمثل به من الأبيات لأبي أحمد العسكري (ضمن كتاب: التفصيل بين بلاغتي العرب والمعجم، تح. د. حمد بن ناصر الدخيل، من إصدارات نادي القصيم الأدبي في بريدة، ط: ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٩ م).
- ٥٥ - مختصر تاريخ دمشق (اختصار ابن منظور والأصل لابن عساكر)، تحقيق مجموعة من الباحثين في ٣١ مجلداً، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.
- ٥٦ - مروج الذهب للمسعودي، طبعة ميناو كرتاي، تح. شارل بيلا،

منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٦م وما بعدها.

٥٧ - معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م.

٥٨ - المعزب لأبي منصور الجواليقي، نج. أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣: ١٩٩٥م.

٥٩ - مُعِيد النِّعَم وَتُبِيد النِّقَم، نج. الشيخ محمد علي النجار ورفاقه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣: ١٤١٤هـ/١٩٩٦م.

٦٠ - المتنخل لأبي الفضل الميكالي، نج. د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦١ - المنهج المسلوك في سياسة الملوك للقاضي الشيزري، نج. علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء (الأردن)، ١٩٨٧م.

٦٢ - موسوعة القذاب لعبود الشالحي، الدار العربية للموسوعات، لندن (سبعة مجلدات)، د. ت.

٦٣ - نثر النثر لأبي سعد الآبي، نج. محمد علي قرنة ورفاقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (سبعة أجزاء)، ١٩٧٩ - ١٩٨٩م.

٦٤ - نزهة الأرواح وروضة الأفراح لشمس الدين الشهرزوري، نج. عبد الكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٨٨م.

٦٥ - نشوار المحاضرة للتونسي، نج. عبود الشالحي، دار صادر، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م وما بعدها.

٦٦ - نهاية الرتبة في طلب الحجة للشيزري، نج. السيد الباز، دار الثقافة، بيروت، ط٢: ١٩٨١م.

٦٧ - الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، نج. مجموعة من الباحثين العرب والعسكريين، منشورات المعهد الألماني، بيروت، (لم يتم).

٦٨ - وفيات الأعيان لابن خلكان، نج. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

مستدرک الجريدة

[يشمل المقدمة]

- ١ - الآداب السلطانية، تأليف د. عز الدين العلام، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (رقم ٣٢٤)، الكويت، ٢٠٠٦م.
- ٢ - أخبار البرامكة لمجهول من القرن الرابع الهجري، نج. جليل العطية، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ٣ - إخوان الصفاء للدكتور فؤاد محصوم، دار المدى، دمشق، ١٩٩٨م.
- ٤ - البدء والتاريخ للمقدسي، مكتبة المثنى، بغداد (طبعة مصورة).
- ٥ - تاريخ الأدب في إيران، تأليف: إدوار براون، ترجمة وتعليق د. أحمد كمال الدين حلمي، منشورات جامعة الكويت (مجلدان)، ١٩٩٤ - ١٩٩٦م.
- ٦ - دفع الهم أو الأحاديث المطربة لأبي الفرج الملقب المعروف بابن العبري، ترجمه عن الإنكليزية: نجم عبد الله مصطفى، دار المعارف، سوسة (تونس) ٢٠٠٤م.
- ٧ - ذيل الأعلام - قاموس تراجم، تأليف الأستاذ أحمد العلاونة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة (مجلدان)، ١٤١٨ - ١٤٢٢هـ / ١٩٩٨ - ٢٠٠٠م.
- ٨ - رسوم دار الخلافة للصايغ، نج. ميخائيل عواد، بغداد، ١٩٦٤م.
- ٩ - الروضتين (كتاب) لابن شامة، نج. الأستاذ إبراهيم الزبيق، مؤسسة

الرسالة، بيروت، الأجزاء ١ - ٥، ١٩٩٧ م.

١٠ - الزهراء المنشورة في نكت الأخبار الماثورة لابن سماك العاملي (من أدباء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)، تح. الدكتور محمود علي مكي، مدريد، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.

١١ - الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب (الأصل) لابن ظافر الأزدي، اختصار السيوطي، عمان، ١٩٩٠ م.

١٢ - الصحيح من أخبار البحار وصحائبها لموسى بن رباح السيرافي، تح. يوسف الهادي، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٦ م.

١٣ - الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد لجعفر بن ثعلب الأدفوي، تح. سعد محمد حسن (ت ١٩٨٨ م)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦ م.

١٤ - غرر السير (غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم) للثعالبي المرغني، منشورات مكتبة الأسد، طهران، ١٩٦٣ م.

١٥ - فضل العرب والتنبيه على علومها، تح. د. وليد خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٨ م.

١٦ - فهارس كتاب صحيح الأعمش في صناعة الإنشاء، إعداد محمد قنديل البقلي، عالم الكتب، القاهرة، د. ت.

١٧ - المحمدون من الشعراء للقيصري، تح. رياض مراد، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥ م.

١٨ - مقالات الأدباء ومناظرات النجباء لابن هذيل، تح. محمد أديب الجادر، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٢ م.

١٩ - المقفى الكبير للمقرئ، تح. د. محمد الجلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (الأجزاء ١ - ٨)، ١٩٩٣ م.

□ المراجع الأجنبية

- Anas B. Kalidov: *Catalogue of Arabic Manuscripts at the Institute of Oriental Studies-Leningrad (St. Petersburg), Russia, 1986.*

- Ephrem Isa Yousif: *Les Philosophes et Traducteurs Syriaques D'Athenes à Bagdad, L'Harmattan, Paris, 1997.*



مرکز تحقیق و پژوهش علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

فهارس الكتاب (*)

١ - فهرس الآيات القرآنية .

٢ - فهرس الحديث والأثر .

٣ - فهرس الأعلام .

٤ - فهرس الأماكن والبقاع .

٥ - فهرس القوافي .

٦ - محتويات الكتاب



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

(*) الفهارس: تشمل المقدمة والنص باستثناء الهوامش .



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَعِزُّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	الأنفال	(٦٠)	٩٩
﴿وَكَانَ فِي الْمَدِيْنَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُوْنَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُوْنَ﴾	النمل	(٤٨)	١٠٢
﴿وَدَخَلَ الْمَدِيْنَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا...﴾	القصاص	(١٥)	١٠٤
﴿... لَا تُدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾	الطلاق	(١)	١٠٥
﴿... أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	الحاقة	(٧)	٩٩
﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾	الانسن	(١٠)	١٠٥
﴿... أَنَا رَبِّكُمُ الْأَعْلَى﴾	النازعات	(٢٤)	٥٥

٢ - فهرس الحديث والاثار

٩٦

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»



مركز تحقيقات و تالیفات اسلامی

٣ - فهرس الأعلام

(أ)

- إبراهيم حسين صالح ٢٨.
إبراهيم، محمد بن أبي الفضل ٧، ١٢، ٢٠.
ابن الأثير (علي بن محمد) ٣٦.
إحسان عباس ١٢، ٣١.
أردشير بن بابك ١٦، ١٧.
الأزدي (علي بن ظاهر) ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٩، ٢٠.
الإسكندر الحقدوني ٢٩، ١٠٩.
الأشرف (يوسف القاضي) ٢٤.
الأصمعي (عبد الملك بن قريب) ٨.
الأفضل (علي بن يوسف) ٢٣.
الأنباري (محمد بن محمد) ٢٥.
الأهومي النحوي ٢١.

(ب)

- البقلي (محمد فتيل) ١١.

(ت)

ابن تغري بردي (يوسف) ٢٣.
التميمي (علي بن زياد) ٣٠.

(ث)

الثعالبي (عبد الملك بن محمد) ٨ ، ٣٢.
الثعالبي (محمد بن الحارث) ٣٠ - ٣٢.

(ج)

الجهشياري (محمد بن عبدوس) ٢٨.
ابن الجوهري (أبو الفضل) ٦٤.

(ح)

الحسن بن سهل ٣٠.
أبو الحسين القلاع ٧١.
الحموي (ياقوت بن عبد الله) ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٥.
الحوافي (أحمد محمد) ٣٠.

(خ)

خالدوف، أنس ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٩.
خان، محمد عبد المعبود ٧.

(د)

الدينوري (أبو حنيفة صاحب كتاب النبات) ١٦.

(ر)

رياض عبد الحميد مراد ۷.

(ز)

زرادشت ۱۶.

الزركلي (خير الدين) ۲۳.

الزهراني (محمد مسفر) ۲۰.

(س)

سابور ۲۷.

سابور بن أردشير ۱۶ ، ۱۷.

سالم بن عبد الحميد ۳۱.

سزكين (فؤاد) ۱۲.

سعيد بن عاشور ۱۱.

السلفي (أبو طاهر أحمد بن محمد) ۲۶.

سوقان (ايفيت) ۱۰.

السيوطي (جلال الدين) ۲۸.

(ش)

شارل بلا ۱۷.

(ص)

الصايغ (هلال بن المحسن) ۱۳.

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) ٢٠، ٢٢.
صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب) ٢٢.
الصبياد (فؤاد) ١٥.

(ط)

الطبري (محمد بن جرير) ١٧.

(ظ)

ابن ظافر انظر: الأزدي.

(ع)

العادل (أبو بكر) ٢٣.

العباس (الحسن بن عبد الله) ٢٨.

عبد الحميد بن يحيى: ٣١.

ابن عبد ربة (صاحب العقد الفريد) ٢٧، ٣٦.

عبد الله مخلص ١٢. مركز تحقيق وتصحيح علوم إسلامية

عبد المنعم عامر ١٦.

ابن عساكر (صاحب تاريخ مدينة دمشق) ٣٦.

العطية، جليل ١، ٣، ٣٥.

علي بن رزين الكاتب ٩، ٣٠، ٣٢.

علي بن أبي طالب ٢١.

العماد الأصمهاني (محمد بن محمد بن حامد) ٢٥.

(ف)

- الفردوسي (الشاعر) ١٥.
فرعون ٩٩.
فربه (المستشرق) ٢٠.
ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى) ١١.
الفضل بن نويخت ٣٠.
ابن الفقيه (أحمد بن محمد) ١٦.

(ق)

- القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي) ١٣، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٨، ٣٥، ٥١.
ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) ٢٧.
القنطري (علي بن يوسف) ١، ٣، ٧، ١٢، ١٣، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥،
٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥.
القلاع (أبو الحسين) ٧١.
القلقشندي (أحمد بن علي) ١١، ١٢، علوم رسي
القوسي (شيث بن إبراهيم) ٢٠.

(ك)

- كسرى أنو شروان ١٨.
كورش ١٦.
كوركيس حنا عواد ٢٩.
كيومرث ١٧.

(م)

- المتوكل ٢٨.
محمد بن عبد الله (الرسول) ٣٣ ، ٣٧.
ابن المرزبان (محمد بن سهل) ٨.
المسعودي (علي بن حسين) ١١ ، ١٧ ، ٢٧.
المطوعي (عمر بن علي) ٨.
معمر (حسن) ٧.
المقدسي (محمد بن أحمد) ١٦.
المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ٢٣.
ابن المقفع ١٩.
الملك الأشرف (موسى بن أبي بكر) ١٩.
الملك العزيز (عثمان بن يوسف) ١٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٥.

(ن)

- الناصر (صاحب حلب) ٢٤.
نبيهة عبود ٢٩.
ابن النديم (صاحب الفهرست) ٢٩.
نظام الملك (الحسن الطوسي) ٣٢.
نوبخت ٣٠.

(هـ)

- الهادي (يوسف) ١٦.
هشام بن عبد الملك ٢٩.

(ي)

يوسف الهادي، انظر: الهادي.

يزدجرد ١٧.



مرکز تحقیقات و پژوهش‌های اسلامی

٤ - فهرس الأماكن والبقاع

(أ)

إستانبول ١٢ ، ٣٢ ، ٣٤ .
الإسكندرية ٢٢ ، ٢٥ .
الإمارات العربية المتحدة ١٢ .

(ب)



باريس ٨ ، ٣٥ .
بغداد ٩ ، ١٣ ، ٢٩ .
بيت الحكمة (في بغداد) ١٨ .
بيت المقدس ٢٣ ، ٢٥ .
بيروت ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٣٠ .

(ج)

جامعة شيكاغو ٢٩ .
جنديسابور ١٧ ، ١٨ .

(ح)

حران ۲۵.

حلب ۲۴.

حیدرآباد ۷.

(د)

دمشق ۷، ۱۲، ۲۳.

(ر)

الرقتان ۲۵.

روسیا ۱۰، ۳۲.

الریاض ۷.



مرکز تحقیقات کتاب و اطلاع رسانی

صفد خوارزم ۱۶.

الصین ۱۶، ۸۲.

(ط)

طهران ۲۹.

(ظ)

أبو ظبي ۱۲.

(ع)

العراق ١٥ ، ٢٩.

عسقلان ٢٢.

عمّان ٢٠ ، ٣١.

(ف)

فارس ٢٦ ، ٢٧.

فرائكفورت ١٢.

فلسطين ١٢ ، ٢٢.

(ق)

القاهرة ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٢.

قطر ٢٤.



(ج)

مركز تحقيق مكتبة بيت المقدس

لايزغ (لايزك) ٧.

(م)

مدرسة القاضي الفاضل ٢١.

مدرسة المالكية (في مصر) ٢٠.

المدينة المنورة ٢٠.

مصر ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٦٤.

المعهد الشرقي (في شيكاغو) ٢٩.

المعهد العلمي الفرنسي ٢٠.

معهد فرانكفورت ١٢.

مكتبة بطرسبرغ (بطرسبرج) ٧، ٩، ١٠، ١٩، ٣٢.

مكتبة خالص أفندي ٣٢.

مكتبة هشام بن عبد الملك ٢٩.

المكتبة الوطنية (في باريس) ٨.

(هـ)

الهند ١٦.



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی

٥ — فهرس القوافي

الصفحة	الشاعر	عدد الأبيات	البحر	القافية
قافية الباء				
٥٧	[أبو نواس]	١	الوافر	الجراي
قافية الحاء				
٧٦	—	٤	المتقارب	فسيحا
قافية الدال				
١٠٠	[المتنبي]	١	الخفيف	المخلود
قافية الراء				
٩٠	[ابن بُبَاقَة]	٢	المتقارب	قَصْرُ
قافية الضاد				
٩٦	[الخطاب بن المعلى]	١	السريع	الغرض

قافية العين

٦٠	—	١	الطويل	ضلوعي
----	---	---	--------	-------

قافية الكاف

٨٥	[تأبط شرأ]	٢	الطويل	المهالك
----	------------	---	--------	---------

قافية اللام

٨٤	[ابن مقبل]	١	الطويل	آكله
٥٧	[المتنبي]	٢	الزافر	الجمالا

قافية الميم

٨٠	[المتنبي]	١	الطويل	المتقادم
٧٧	[بشار بن برد]	٢	الطويل	حازم
٦٩	[أحمد بن يوسف]	٤	الكامل	معلوما

قافية النون

٨٠	[كشاجم]	١	المنسرح	أذن
٢٥	[القبطي]	٤	السريع	ريحانثان

قافية الهاء

٦١	[علي بن أبي طالب]	٤	الهزج	إياه
----	-------------------	---	-------	------

قافية الألف اللينة

نجا الزوج ١ [ابن حريد] ٧٤

قافية أنصاف الأبيات

العريس العلويل — ٧١



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد و اطلاع رسانی

محتويات الكتاب

٧	بين يدي الكتاب
١٥	مقدمة التحقيق
٣٦	الرموز والمصطلحات
٣٧	نماذج من صور المخطوط
٤٧	مقدمة المؤلف
٥٥	متن المخطوط
٥٥	[الملك الظالم]
٥٨	[الوصيفة الذكية]
٥٨	[الملك والهزل]
٦١	[اعتماد الكفاة]
٦٢	[الدُّجاجة والقط]
٦٤	[هرة الجوهري]
٦٤	[نصائح للملك]
٦٥	[شروط المحبة]
٦٥	[الملك والحاجب]
٦٧	[هدايا النوروز]
٦٨	[جيلة حظية]
٧٠	[مكر النساء]

٧٠	[حيلة مجنون]
٧٣	[الملك الماجن]
٧٣	[العقل والهوى]
٧٥	[مصاهرة الأمور]
٧٥	[الاستشارة]
٧٧	[الوزير العاجز والجارية]
٨١	[أسباب زوال المُلك]
٨٢	[الثوب الأحمر]
٨٣	[كرم الملوك]
٨٦	[ندم الملك]
٨٧	[وصايا الجارية]
٨٨	[التدبير والتبذير]
٨٩	[المرأة ريحانة]
٨٩	[تصغير الأعداء مرفوض]
٩٠	[الصعلوك]
١٠٦	[ولني العهد]
١٠٨	[أم الملك]
١٠٩	[الإسكندر ومعلمه]
١١٢	[أعوان المَلِك]
١١٤	[شروط الوزارة]
١١٤	[أسباب زوال المُلك]
١١٥	[الخاتمة]
١١٧	جريدة المصادر والمراجع

١٢٣ مستشرق الجريدة
١٢٧ فهرس الكتاب
١٢٩	١ - فهرس الآيات القرآنية
١٣٠	٢ - فهرس الحديث والأثر
١٣١	٣ - فهرس الأعلام
١٣٨	٤ - فهرس الأماكن والبقاع
١٤٢	٥ - فهرس القوافي



مركز بحوث ونشر الدراسات الإسلامية

ASSAS A-SIYASA

Fondement de l'éthique (politique)

PAR:

Ali b. Yusuf al-Qifti

(1172-1248/568-646H)

Edition critique

PAR

Jalil al-Attiya

Docteur ès lettres



مرکز تحقیقات علوم و ادبیات اسلامی

Dar Al-Talia-Beyrouth

2008-1429h



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

أخبار الدولة العباسية	(ط٢)	تحقيق: د. عبد العزيز النوري/د. عبد الجبار المطايع
أخبار البرامكة		تحقيق وتقديم:
قصص لمؤلف من القرن الرابع الهجري		د. جليل العطية
تلخيص السياسة	(ط٢)	نقله إلى العربية:
(محاورة الجمهور)		د. حسن مجيد العبيدي
ابن رشد		ولطيفة كاظم الذهبي
الأسد والغواص	(ط٢)	تحقيق وتقديم:
حكاية رمزية سياسية (على لسان الحيوان)		د. رضوان السيد
من القرن الخامس الهجري		
قوانين الوزارة وسياسة الملك	(ط٢)	تحقيق وتقديم:
أبو الحسن الماوردي		د. رضوان السيد
تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك		تحقيق ودراسة:
نجم الدين الطرسوسي		د. رضوان السيد
أخلاق الملوك		تحقيق وتقديم:
— المنسوب للجاحظ سابقاً —		د. جليل العطية
محمد بن الحارث الطنبلي		
(من علماء القرن الثالث الهجري)		
آداب العلوك		تحقيق وتقديم:
ابن رزين الكاتب		د. جليل العطية
طبقات الأمم		تحقيق:
سعاد الأندلسي		حياة العميد بوعطوان
الجوهر النقيس في سياسة قرطيس		تحقيق ودراسة:
ابن الخطّاب: محمد بن منصور ابن حبّش		د. رضوان السيد
اليمني:		تحقيق وشرح:
في شرح أخبار السلطان يمين الدولة		د. إسماعيل ذنون الشامي
وأمين العلة محمود الغزنوي		
أبو النصر محمد بن عبد الجبار الغنّي		



مرکز تحقیقات کتب و آثار اسلامی